أفضل مقول

في مناقب أفضل رسول ﷺ

ويـــــليه

المعارف الذوقية في الوظيفة الصديقية

تأليف وتعليق

أبي الفيض

عبد الله بن محمد بن الصديق

الغماري الحسني الإدريسي

عفا الله عنه

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ ـــ ٢٠٠٥ م

مكتبة القاهرة

لصاحبها علي يوسف سليمان

ص . ب : ٩٤٦
العتبة ـــ القاهرة

ت : ٥٩٠٥٩٠٩
٥١٤٧٥٨٠

الصنادقية ـــ ميدان الأزهر الشريف
درب الأتراك ـــ خلف الجامع الأزهر



رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٥/٤٣٨٢
الترقيم الدولى I.S.B.N
٩٧٧-٤٠١-٠٠٤-٣

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ ش الصنادقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩
١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠
ص . ب ٩٤٦ العتبة ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هـذا كـتاب قـد سُـعِدت بجمعِـه ... فـى فضْـل خَـيرِ الخلـقِ أكرمِ مُرسَلِ

نـورِ الوجـودِ شـفيعِنا يَـومَ اللّقـا ... هـادِى الخلائـقِ للصـراط الأكمـلِ

قـد خصّـه المولَـى بأقـرب خُلـةٍ ... وحَـباه بـالخُلُقِ العظـيم الأفضـلِ

لِجَـنابةِ أُهـدِى كـتابى راجـياً ... أن يقـبَلَ المُهـدَى قَـبولَ المُفْضِـلِ

ويُضِـيفَنى كـرَماً إلى أتـباعِه ... أهْـلِ الحديـثِ وأهـلِ ذِكْـرِ مُـنْذِرا

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمده تعالى وأثنى عليه وأشكره، وأستهديه سبحانه، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا هو المتفرد بالخلق والإيجاد، المنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عن الشركاء والأنداد، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، جعله نبياً وآدم منجدل فى الطين، وأخذ الميثاق به على جميع النبيين، ثم بعثه مؤيداً بالمعجزات الباهرات، وفضله بأنواع الخصائص والمكرمات، فشرح صدره، ورفع ذكره، وأعلى قدره، وأعظم أجره، وختم به الرسل والأنبياء، وكتب لشريعته الخلود والبقاء، إلى يوم الجزاء، صلى الله وسلم وبارك عليه، وزاده شرفاً وكرامة لديه وأعطاه من صنوف الفضل ما لا يصل أحد إليه. ورضى عن آله وأصحابه، وكل من أندرج فى زمرة أتباعه وأحبابه .

أما بعد:

فهذه أحاديث منتقاة، فى فضائل مولانا رسول الله، خدمت بها الجناب النبوى، وأتحفت بها المحبين لمقامه العلى، وجعلتها وسيلة أنال بها شفاعته يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، ومن الحميم الوفى تقبلها الله بقبول حسن، وأذهب عنا كل كرب وهم وحزن، بفضله وجوده، إنه ذو الفضل العظيم، وصاحب الجود الواسع العميم، لا يرد من سأله . ولا يخيب من أمّله، لاسيما وقد استشفعنا إليه بأكرم خليقته وأفضل بريته، سائلين منه سبحانه أن يحقق رجاءنا، ويقبل دعائنا ويمحو وزرنا، ويجبر كسرنا، إنه قريب مجيب .

أبى الفضل

عبد الله الصديق الغمارى

١ ــ حديث: متى وجبت النبوة

عن أبى هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال ﷺ { وآدم بين الروح والجسد } رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب .

قوله: متى وجبت لك النبوة، هكذا فى هذه الرواية، وهى أيضاً رواية الحاكم وأبى نعيم والبيهقى، وصححها الحاكم أيضاً .

وفى رواية: متى كتبت نبياً؟ قال ﷺ { كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد } وهذه رواية أبى عمرو إسماعيل بن نجيد فى جزئه .

وفى رواية: متى كنت نبياً؟ وهى رواية ميسرة الآتية فى الحديث الثانى، ومثلها رواية ابن عباس عند البزار والطبرانى وأبى نعيم، ورواية ابن أبى الجدعاء عند ابن سعد وابن قانع، ورواية مطرّف بن عبد الله بن الشخيرّ عند ابن سعد .

وفى رواية الشعبى أن رجلاً قال للنبى ﷺ متى استنبئت؟ قال { وآدم بين الروح والجسد، حين أخذا منى الميثاق } رواها ابن سعد أيضاً، لكن الراوى عن الشعبى جابر الجعفى، وعن الصنابحى قال: قال عمر: متى جعلت نبياً؟ قال ﷺ { وآدم منجدل فى الطين } رواه أبو نعيم فى الدلائل .

وهذه الروايات متقاربة والمراد به الإخبار بوجوب نبوته أى: ثبوتها لروحه الشريفة المخلوقة قبل الأرواح، ورواية متى كتبت؟ معنى الكتابة فيها: الوجوب والثبوت فى الخارج أيضاً، فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب ظاهر فى الخارج، نحو ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (البقرة:١٨٣) .. كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ (المجادلة:٢١) .. كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاص (البقرة:١٧٨) ﴾ وحاصل المعنى: أن الله تعالى أفاض على روح نبيه الشريفة أو حقيقته[1] المحمدية وصف النبوة فى وقت كان آدم لا يزال طريحاً على الأرض قبل نفخ الروح فيه، وإفاضة النبوة فى هذا الوقت تستلزم تقدم خلقه على غيره كما هو ظاهر .

ولهذا جاء من طريق عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾(الأحزاب:٧)، قال { كنت أول النبيين فى الخلق

---

(١) وهذا ما يقصده أصحاب السير والموالد بقولهم: خلق نوره قبل الأشياء، لأن روحه الشريف كان موجوداً متصفاً بالنبوة قبل نفخ الروح فى آدم كما تبين، والروح جسم نورانى لطيف، كما حققه ابن القيم وغيره وكذا إذا قلنا: أن المراد حقيقته فإنها أمر تقصر عقولنا عن معرفته، إذ الحقائق تقصر العقول عن معرفتها، كما قاله التقى السبكى فى رسالة التعظيم والمنة ..

وأخرهم فى البعث } فبدأ به قبلهم، رواه ابن أبى حاتم وغيره، ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً بلفظ { كنت أول الناس[١] فى الخلق وأخرهم فى البعث } .

قال المناوى فى شرح الجامع الصغير ما نصه: جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت، ثم لما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر، ظهر بكليته جسماً وروحاً . أهـ

وفى حديث الإسراء من رواية أبى هريرة { وجعلنى فاتحاً وخاتماً } أى: فاتحاً لخلق الموجودات، وخاتماً لظهور النبوات، ولذا كان من أسمائه ﷺ (الفاتح الخاتم) وقد أجاد فى تقرير هذا المعنى وإيضاحه الإمام الحافظ تقى الدين السبكى فى رسالة التعظيم والمنة فى ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾(آل عمران: ٨١) وهى مطبوعة فى فتاويه، ونقل كلامه الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى، والقسطلانى فى المواهب اللدنية وغيرهما ..

تنبيـــــــه

عرض زكى مبارك فى كتاب ((التصوف الإسلامى)) لموضوع الحقيقة المحمدية، وزعم أن الصوفية تغالوا فيها، كتغالى النصارى فى الحقيقة العيسوية، وتكلم على أحاديث { كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد } فزعم بطلانها، وأيد زعمه بنقل كلام الذهبى فى الميزان على بعض رجال هذه الأحاديث، وكل ما أبداه خطأ فاحش، فإن الصوفية لم يتغالوا، بل ذكروا ما فهموه من الأحاديث بحسب ما ألهمهم الله، ومن عادة الذهبى أنه يصرح فى ((الميزان)) ببطلان الحديث الصحيح، بل المتواتر أحياناً[٢] وهو يعلم صحته أو تواتره، ولا يقصد بطلانه إطلاقاً، ولكن يقصد بطلانه من طريق الراوى المترجم فقط، وهذه عادة كل من تكلم فى الضعفاء، كابن حبان، وابن عدى، والعقيلى، وهذا أمر معروف لمن مارس علم الحديث، فاعتماد زكى مبارك على (الميزان) فى إبطال الأحاديث المذكورة، جهل كبير لا يليق إلا بأمثاله ..

---

(١) المراد بالناس، النبيون، بدليل الرواية السابقة، فهو عام أريد به الخصوص

(٢) كحديث { من كذب على متعمدا } فهو حديث متواتر، وقد نص على وضعه فى مواضع من الميزان، فى تراجم جماعة من الضعفاء والمجروحين، والمقصود: ان الأحاديث الضعيفة والموضوعة يؤخذ حكمها من الكتب الخاصة بها لا من كتب الرجال، وقد حصل فى أول طلبى لهذا الشأن أنى رأيت الحافظ الدميرى ذكر فى ((حياة الحيوان)) حديثاً فى الأشياء التى تورث النسيان، ومنها أكل التفاح الحامض، والمشى بين امرأتين، وبين جملين، وقراءة الكتابة على شواهد القبور .. الخ، ونص على صحته فظننته صحيحاً كما قال، ثم وجدته منصوصاً على وضعه فى كتب الموضوعات، فعلمت بعد البحث أن الدميرى أراد أنه صحيح عن الراوى الذى حدث به، وأنه هو المتهم بوضعه .

٢ ـ حديث: متى كنت نبياً

عن ميسرة العَجْرَدَ قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً؟ قال { وآدم بين الروح والجسد } رواه الإمام أحمد والبخارى فى التاريخ، والطبرانى والحاكم وصححه، وقال: الحافظ: سنده قوى ..

قلت: ورواه أبو الحسن بن بشران، ومن طريقه ابن الجوزى فى كتاب ((الوفاء بفضائل المصطفى)) بلفظ: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال { لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم النبيين، وخلق الله الجنة التى أسكنها آدم وحواء فكتب أسمى على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمى فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى إليه } وإسناد هذه الرواية قوى أيضاً ..

قولَه: متى كنت نبياً، الحديث، تقدم شرح معنى كونه نبياً فى الحديث قبله بما لا مزيد عليه، غير إن بعض العلماء ذكر أن المراد بهذا الحديث وما فى معناه: ثبوت نبوته فى علم الله وتقديره، وأن المعنى: كنت نبياً فى تقدير الله، وآدم بين الروح والجسد، وكذلك قال فى حديث { كنت أول النبيين فى الخلق } أن المراد بالخلق التقدير، لا الإيجاد، أى كنت أولهم فى التقدير ..

هذا حاصل ما ذكره، وهو باطل لوجوه:

الأول: أن نبوة النبى ﷺ ثابتة فى علم الله وتقديره منذ الأزل، فتخصيصها بوقت كون آدم بين الروح والجسد، لغو يجب تنزيه الحديث عنه .

الثانى: أن نبوة الأنبياء عليهم السلام، بل الموجودات كلها ثابتة فى علم الله وتقديره، فلم يبقى للنبى ﷺ فى هذا خصوصية على غيره، والحديث إنما أتى لبيان الخصوصية، فلا بد أن يكون فيه معنى زائد لا يشاركه فيه غيره، وإلا كان الحديث من قبيل العبث، وذلك باطل .

الثالث: أن الصحابة الذين سألوه بقولهم: متى كنت نبياً؟ كانوا يعلمون أن نبوته ثابتة فى علم الله وتقديره، بل كانوا يعلمون أن الأشياء كلها ثابتة فى علم الله وتقديره، فهم بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدراً زائداً على ما كانوا يعلمون .

الرابع: أن عمر ﷺ سأله: متى جعلت نبياً؟ وهذا اللفظ صريح فى التصيير. أى متى صرت نبياً، وذلك لا يتأتى إلا فى موجود، يصح اتصافه بالصفة التى صير إليها، كما تقول جعلت قطعة الذهب خاتماً، أى صيرتها كذلك، وقد كانت القطعة قبل ذلك موجودة، غير أنها لم توصف بالخاتمية، إلا بعد الجعل والتصيير.

الخامس: أن وجود الأشياء فى علم الله وتقديره، لا يتصور فيها أسبقية بعضها على بعض، فلا يصح أن يقال: كنت أول النبيين فى الخلق، لما يلزم عليه مما لا يليق بالله سبحانه وتعالى، وإنما تصح الأولوية فى الخلق بمعنى الإيجاد، لأنه صفة فعل، يتصور معه أسبقية بعض الحوادث على بعض، كما دل عليه القرآن والسنة، فتبين من هذا بطلان ما ذكره البعض، وتعين ما ذكرناه، وهو أن الله أفاض على روح نبيه الشريفة أو على حقيقته المحمدية، وصف النبوة، وخلع عليها خلعة القرب، وآدم بين الروح والجسد، تمييزاً له على سائر المخلوقات، واصطفاه له من بين أنواع الموجودات، فهو خلاصة النوع الإنسانى، وسيد الثقلين، وأبو الأنبياء ﷺ وإلى هذا أشار ابن القارض على لسان الحضرة المصطفوية.

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة   فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

يقصد بالمعنى الشاهد: النور الذى كان فى جبين آدم عليه الصلاة والسلام، ثم انتقل إلى شيث من بعده، وهكذا على ما ثبت فى كتب السيرة النبوية، والله أعلم.

قولـه: وقال الحافظ سنده قوى، إذا أطلق الحافظ أو شيخ الإسلام، فالمراد به فى عرف أهل الحديث: هو الحافظ ابن حجر العسقلانى، الذى كان أعجوبة الدنيا فى كثرة الحفظ وسعة الإطلاع، والقدرة على الجمع بين الأحاديث المتعارضة، وكتبه ناطقة بذلك، كان يسمى أمير المؤمنين فى الحديث، وهو كذلك بحق، وتوفى سنة ٨٥٢ هـ، رحمه الله ورضى عنه وأعلى قدره فى عليين..

قولـه: ورواه الحسين ابن بشران، اسمه على بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل البغدادى، أحد شيوخ البيهقى، ويروى عنه كثير فى كتبه كالأسماء والصفات والسنن والدلائل وغيرها. وفى مكتبتنا من كتب ابن بشران كتاب ((الفوائد الحسان)) يشتمل على أحاديث وآثار مسندة..

قولـه { لما خلق الله الأرض } الحديث، اشتملت هذه الرواية على مسائل:

الأولى: أن الله تعالى كتب اسم نبيه على ساق العرش وأبواب الجنة وأوراقها وقبابها وخيامها إعلاماً لآدم والملائكة بمنزلته عنده، وفى ذلك من التنويه والرفعة ما لا يخفى.

الثانية: قولَه: وخلق الله الجنة التى أسكنها آدم وحواء قد يؤخذ منه أنها غير جنة الخلد المعهودة، بل هى جنة خلقت لسكنى آدم وحواء، وفى ذلك خلاف طويل، ليس هذا موضع تفصيله .

الثالثة: قولَه: فاخبره أنه سيد ولدك، فيه دليل على أنه سيد ولد آدم، والمراد به النوع الإنسانى، فيشمل آدم أيضاً، والأحاديث بثبوت سيادته ﷺ متواترة سردها بأسانيدها شقيقنا الحافظ المجتهد أبو الفيض السيد أحمد فى كتاب ((تشنيف الأذان)) وهو مطبوع .

الرابعة: قولَه: تابا واستشفعا باسمى إليه، فيه دليل على جواز التوسل به من وجهين:

١ ــ أن النبى ﷺ حكاه وأقره .

٢ ــ أن الدعاء لا يختلف باختلاف الشرائع والأديان، فإذا جاز نوع منه فى عهد آدم مثلاً، دل على جوازه فى سائر العهود .

وهذا الحديث يقوى حديث توسل آدم الذى صححه الحاكم، وقال الذهبى أنه موضوع، والصحيح أنه ضعيف فقط، كما صرح به البيهقى فى (دلائل النبوة) وهذا الكتاب قال عنه الذهبى نفسه: عليك به فكله هدى ونور، وقد بسطت الكلام عليه فى كتاب ((الرد لمحكم المتين))[١] .

قولَه: وإسناد هذه الرواية قوى أيضاً، لأنه عين إسناد الرواية الأولى التى صححها الحاكم وقواها الحافظ، غير أن هذه الرواية مطولة، وتلك مختصرة، وهذا أمر معهود بين رواة الحديث، فإن الراوى تارة يكون عنده نشاط، فيذكر الحديث بتمامه، وتارة يقتصر منه على ما يرى أن الحاجة داعية إليه، وتارة يسند، وأخرى يرسل، ومن هنا كان جمع طرق الحديث والوقوف على ألفاظه المتعددة[٢] شرطاً فى فهمه حق الفهم، وهذه الطريقة سلكها الحافظ فى ((فتح البارى)) فكان كتابه أكمل الشروح وأوفاها، واستعان بها على حل مشكلات الحديث استعصيت على غيره ممن سبقه، والله الموفق ..

تنبيــــــــه

قولَه: وخلق العرش، هذه الجملة حالية، والمعنى: والحال أن الله خلق العرش، ويصح أن تكون معطوفة، والعطف بالواو لا يقتضى الترتيب، فيجوز أن يعطف بها متقدم

---

(١) الناشر: مكتبة القاهرة

(٢) ولقد قال الإمام أبو زرعه الرازى: إذا لم نرو الحديث من عشرة طرق لم نفهم معناه

على متأخر، كما هنا، لأن العرش مخلوق قبل السموات والأرض، بدليل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾(هود:٧) وبدليل الحديث الأتى بعد صفحة، وعلى هذا فكتابة اسم النبى ﷺ على ساق العرش، كانت قبل خلق السموات والأرض، وقبل خلق الجنة التى سكنها آدم عليه السلام، بمدة لا يعلمها إلا الله تعالى، وقوله فى آخر الحديث: وآدم بين الروح والجسد، يرجع إلى كتابة اسمه على أبواب الجنة وأوراقها وقبابها وخيامها، وكتابة اسمه ﷺ على ساق العرش، وهو أعظم الأجرام على الإطلاق تناسب كونه ﷺ أعظم المخلوقات كذلك ..

****

٣ـ حديث: خَرجتُ من نكاحٍ ولم أَخْرُجْ من سِفاح

عن على ﷺ عن النبى ﷺ قال { خَرجتُ من نكاحٍ ولم أَخْرُجْ من سِفاحٍ من لَدُنْ آدمَ إلى أن وَلَدنى أبى وأمّى لم يُصِبْنى من سِفاح الجاهلية شئ } رواه الحافظ محمد بن يحى بن أبى عمر السعدنى فى مسنده قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: أشهد على أبى يحدثنى عن أبيه عن جده عن على به، وهذا مسلسل بأهل البيت النبوى الشريف[1] ورواه أيضاً الطبرانى فى المعجم الأوسط وأبو نعيم فى دلائل النبوة، وابن عساكر فى التاريخ، وورد نحوه من حديث ابن عباس وعائشة وغيرهما .

قوله { خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح } أخرج بفتح الهمزة وضم الراء مبنياً للفاعل؛ وهكذا تلقيته عن شقيقى الحافظ أبى الفيض أثناء حضورنا عليه بزاويتنا الصديقية بطنجة، عمّرها الله بذكره، وهو المتجه من جهة المعنى أيضاً، فاحتمال بنائه للمجهول، كما فهم بعض الناس غلط، والسِفاح بكسر السين الزنا، وهذا الحديث أحد الأدلة على طهارة نسبه ﷺ، وفى معناه أحاديث كثيرة عن ابن عباس بألفاظ وطرق عند ابن سعد والطبرانى وأبى نعيم وابن عساكر، وعن عائشة عند ابن سعد وابن عساكر، وعن أبى هريرة عند ابن عساكر، وعن أنس عند أبن مردويه وعن غيرهم، على أن طهارة نسبه الشريف لا تحتاج إلى بيان، ولا يعوزها برهان، إذ لم يتنازع فيها اثنان، فهو ﷺ الطاهر المطهر أماً وأباً، الطيب المطيب أصلاً ونسباً، ومن شك فى هذا فليس مسلماً، وبالله التوفيق .

---

(١) روى الخطيب فى التاريخ عن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: كنت واقفاً على راس أبى، وعنده أحمد بن حنبل، واسحق بن رهوية، وأبو الصلت الهروى، فقال أبى: ليحدثنى كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت: حدثنى على بن موسى الرضا، وكان والله رضا كما سمى، ، عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين ، عن أبيه الحسينى قال: قال رسول الله ﷺ {الإيمان قولاً وعملاً} فقال بعضهم ما هذا الإسناد؟ فقال له أبى: هذا سعوط المجانين، إذا سعط به المجنون برأ .

٤ ـ حديث: اصطفاه الله

عن وأثلة بن الأسْقَع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول { أنَ الله أصطفَى كِنانَةَ من وَلد إسماعيل واصطفَى قُريشاً من كِنانةً، واصطفى من قُريشٍ بنى هاشمٍ واصطفانى من بنى هاشمٍ } رواه مسلم والترمذى وقال: حديث صحيح غريب ..

قوله: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، الاصطفاء معناه: الاجتباء والاختيار قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(آل عمران:٣٣) ومن الاصطفاء نبوة ورسالة، ومنه تمييز وتفضيل وكنانة (بكسر الكاف وتخفيف النون) أحد أجداده ﷺ إذا هو ﷺ سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن لؤى بن غالب ابن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وباقى الحديث واضح، وفيه دلالة على طهارة نسبه، وشرف أصله، وكونه خياراً من خيار ﷺ .

واستدل الشافعية بهذا الحديث على أن غير قريش من العرب ليس كفوءاً لهم، ولا غير بن هاشم كفئاً لهم إلا بنى عبد المطلب، فانهم وبنى هاشم شئ واحد، كما فى حديث أخر .

قولـه: حديث صحيح غريب، استشكل العلماء قول الترمذى فى الحديث صحيح غريب مع تنافيهما، لأن شرط الصحة أعلى من شرط الحسن كما هو معروف وأجابوا عن ذلك بعدة أجوبة أحسنها جواب الحافظ بن حجر وهو : أن الحديث إن كان له إسنادان فالجمع بينهما باعتبار الإسنادين أى حسن بإسناد وصحيح بأخر، وإن كان له إسناد واحد، فالجمع للتردد فى الإسناد، هل بلغ الصحة أولا؟ أى: حسن أو صحيح، غاية ما فى الأمر: انه حذف الواو من الأول، أو من الثانى اختصاراً .. أما الغرابة فلا تنافى الحسن ولا الصحة، بل تلاقيها كما هو معروف، وهذا حديث ((إنما الأعمال بالنيات)) صحيح غريب، وكم له من نظير والله أعلم .

فائدة: العرب على ست طبقات: شَعب، وقبيلة، وعِمارة، وبطن، وفخِذ وفصيلة .
فالشَعب: يجمع القبائل، والقبيلة: تجمع العمائر، والعمارة: تجمع البطون، والبطن: يجمع الأفخاذ، والفخذ: تجمع الفصائل .

فمضر .. شعب رسول الله ﷺ، وكنانة قبيلته، وقريش عمارته، وقصى بطنه، وهاشم فخذه، وبنو العباس فصيلته . وقيل بنو عبد المطلب، وعبد مناف بطنه، أفاده الحافظ اليعمرى فى سيرته .

٥ ـ حديث: { إنى عبد الله وخاتم النبيين }

عن العِرْباض بن سَارية أن رسول الله ﷺ قال { إنى عَبْدُ الله وخاتِمُ النبيين وإن آدم لمنجدلٌ فى طينته وسأخبركم عن ذلك دَعوةُ أبى إبراهيمَ وبشارةُ عيسى ورُؤيا أُمى التى رأتْ وكذلك أمهاتُ الأنبيَاءِ يَريْنَ } وإنّ أمّ رسول الله ﷺ رأتْ حين وضعتْه نوراً أضاء له قصورُ الشام حتى رأتْها } رواه أحمد والبزار والطبرانى والبيهقى، وصححه ابن حبان والحاكم، وأقر تصحيحها الحافظ.

قوله { إنى عبد الله وخاتم النبيين} .. الخ، هذا يؤيد ما قدمناه من تقدم خلق حقيقته أو روحه، واتصافها بالنبوة وآدم منجدل فى الطين.

وفى رواية { إنى عند الله لخاتم النبيين } .. الخ، ومعنى العندية هنا القرب المعنوى من بساط الحضرة الإلهية، أى: إنى فى بساط القرب وفاض على وصف خاتم النبيين وآدم لا يزال منجدلاً فى الطين، أى: لا يزال جسماً مصوراً من الطين لم تنفخ فيه الروح، وفى هذا من عظم قدر نبينا وعلو منزلته ما لا يحتاج إلى بيان.

فائدة: جاء فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال { إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء } ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين، فهذا وجود كتابى بمعنى أن الله كتب اسمه الشريف ونعته المنيف حين كتب مقادير الأشياء فى أم الكتاب.

وثم وجود سابق على هذا الوجود وهو الوجود العلمى. أى: أنه كان معلوماً لله تعالى منذ القدم، ضرورة إحاطة العلم القديم، بجميع معلومات موجودات ومعدومات.

وهذان الوجودان أعنى العلمى والكتابى مجازيان، وغير خاصين بالنبى ﷺ وإنما المختص به وجود حقيقته أو روحه وجوداً خارجياً، وإفاضة وصف النبوة عليه، كما سبق والله أعلم.

قوله: وسأخبركم عن ذلك، أى: سأخبركم عن تصديق ذلك، فالكلام على حذف مضاف كما تبين.

قوله: دعوة أبى إبراهيم، يشير إلى قوله تعالى حكاية عنه ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(البقرة:١٢٩).

قوله: وبشارة عيسى، يشير إلى قوله تعالى على لسانه ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(الصف:٦).

قولـه: ورؤيـا أمي، هذه رؤية عين، وكذلك أمهات الأنبياء يرين، أي: يرين ما يدل على نبوة أولادهن .

قولـه: وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام حتى رأتها أي: معايـنة، ولابـن سعد من طريق ثور بن يزيد عن أبي العجفاء عن النبي ﷺ قال { رأت أمي حين وضعتني سطع منها نوراً أضاءت له قصور بصرى } وبصرى موضع بالشام .

ولأبـي نعـيم من طريق عطاء بن يسار، عن أم سلمة عن آمنة قالت ((لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها))

وروى الطـبراني والبـيهقي وأبـو نعـيم وابن السكن وغيرهم عن عثمان بن أبي العاص قـال: حدثتـني أمـي أنهـا شهدت ولادة النبي ﷺ، قالت: فما شئ أنظر إليه في البيت إلا نـور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو، حتى أني أقول لتقعن عليّ، فلما وضعته آمنة خرج منها نور أضاء له البيت والدار، حتى جعلت لا أرى إلا نوراً .

ثـم هـو ﷺ خرج من السبيل المعتاد للولادة، طاهراً نظيفاً ما به قذارة، كما ورد عن شاهدوه، فإدعاء بعضهم أنه خرج من موضع فوق السرة أو دونها[1] لا أصل لـه، ولا دليل يؤيده . والله أعلم.

وفـي دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام، ورؤية والدته وغيرها للنور، دلالة صدق، وشهادة حق على تقدم نبوته، وسبق فضيلته كما هو ظاهر، وبالله التوفيق .

****

٦ ـ حديث: { من لقيني وهو جاحد دخل النار }

عـن أنـس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ { أَوْحَى اللهُ إلى موسى نبيُّ بني إسرائيل أنـه مَن لَقِيَني وهُو جاحدٌ بأحمدَ أدخَلْتُه النارَ، قال: يَا ربُّ ومَن أحمدُ؟ قال ﷻ: ما خَلَقتُ خلقـاً أكـرمَ عليَّ منه، كتبتُ اسمه مع أسمي في العرش قبل أن أخلُقَ السموات والأرضَ، وأن الجـنة محـرمةٌ عـلى جمـيع خَلقِي حـتى يدخُلَهـا هـو وأمـته، قـال: ومَـن أمتُه؟ قال ﷻ: الحمـادون يَحمَدُون صُعوداً وهُبوطاً وعلى كلّ حال يشُدّوُن أوساطَهم ويُطهِّرون أطرافَهم صائمون بالـنهار رهـبانٌ بالليل أقـبَلُ مِـنهمُ اليسـيرَ وأُدخِلُهـم الجـنة بشهادةِ أن لا آله إلا الله، قال:

---

(١) وكذلـك النصـارى يعـتقدون أن عيسـى عليه السلام خـرج من جنب أمه، أو من موضع فوق سرتها، وذلك باطل، لا أصل له، بل هو مولود من المكان المعتاد لولادة البشر .

اجعَلْنى نَبىَّ تلكَ الأمةِ ! قال ﷻ: نبيها مِنْها، قال: اجعْلنى مِن أُمةِ ذلكَ النبى! قال ﷻ استَقْدَمَت واستَأخَرَ ولكن سأجْمَعُ بينَكَ وبيْنَه فى دارِ الجَلاَل} رواه أبو نعيم فى الحلية .

قولـه ﷻ: مـن لقيـنى وهو جاحد بأحمد أدخلته النار، أى: من لقينى من بنى إسرائيل، قـوم موسـى وهـو كافر بأحمد، أدخلته النار، وذلك لأن الله أخبرهم فى التوراة، وبشرهم به موسى ﷺ، فمن جحد به بعد ذلك كان مكذباً الله ورسوله، وهو كفر، يوجب الخلود فى النار .

قولـه ﷻ { مـا خلقـت خلقاً أكـرم عـلى منه }[1]، أكرم أفعل تفضيل من الكرامة، أى: مـا خلقـت خلقاً له من الكرامة عندى مثله، وفى هذا دليل تفضيله على الملائكة، وهو إجمـاع إلا مـا كـان مـن ابـن حزم فإنه فضل الملائكة عليه، وإلا ما كان من الزمخشرى فإنه فضـل جـبريل ﷺ، وهـذان قـولان فـى غاية الشذوذ، لا يعتبر بهم، يقابلهما فى الشذوذ قـول: مـن فضـل عـوام المؤمنين على عوام الملائكة، وليس فى الملائكة عوام، بل كلهم رسل معصـومون، قـال الله تعالى ﴿ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً ﴾(فاطر:١) وقال جل شأنه ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(التحريم:٦) .

قولـه ﷻ { كتبـت أسمـه مـع أسمى فى العرش } .. الخ، أى كتبت [لا إله إلا الله محمد رسول الله] وهذا وارد فى حديث توسل آدم وغيره .

قولـه ﷻ { إن الجـنة محـرمة عـلى جمـيع خلقـى } .. الخ. هذا من الخصائص الـتى أختصـه الله بهـا فهـو أول مـن يقـرع بـاب الجـنة ويدخـلها، وأمته أول الأمم دخولاً الجنة، وهذه الفضيلة إنما نالتها الأمة إكراماً لنبيها ﷺ وللطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن عـن عمـر ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال { الجـنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى } وروى أيضاً من حديث ابن عباس نحوه .

قولـه ﷻ { الحمـادون } صيغة مـبالغة أى كـثيرو الحمـد. ثم فسر كثرة حمدهم بقولـه: يحمـدون ـ بفـتح الـياء والمـيم ـ صعوداً إذا صـعدوا جـبلاً وهبوطاً إذا هبطوا وادياً، ويحمـدون على كل حال من شدة ورخاء، وبؤس ونعماء، وهذا كان حال الصحابة والتابعين والسلف الماضيين، ولا يزال موجوداً إلى الآن، وإن كان قليلاً .

---

(١) واخـرج بـن عساكر فى التاريخ عن عبد الرحمن بن غنيم عن النبى ﷺ قال { سلم على ملك ثم قال لى: لم أزل أسـتأذن ربـى ﷻ فى لقائك حتى كان هذا أوان أذن لى وإنى أخبرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك } وقد شرحت هذا الحديث فى كتاب (الغرائب والوجدان) .

قولـه ﷺ: { يشـدون أوساطهم } أى: يأتزرون على أوساطهم، ويطهرون أطرافهم أى: يتوضـأون ومقتضى هذا أن الوضوء من خصوصيات الأمة المحمدية، وفى ذلك خلاف، صائمون بالنهار رهبان بالليل، أى: يقومون الليل ويحيونه بالصلاة والعبادة .

قولـه ﷺ { أقبل مـنهم اليسير مـن العمـل } أى: تيسـيراً علـيهم، ولا أكلفهـم بالتكاليف الشـاقة، كمـا قـال تعالى فـى حق رسوله ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾(الأعراف:١٥٧) .

قولـه ﷺ: { وأدخـلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله } أى: وأن (محمد رسول الله) لأنها قرينتها .

لما علم موسى عليه السلام ببعض خصوصيات هذه الأمة، طلب أن يكون نبياً لها، فأخبره الله تعالى أن نبيها منها، أى: عربى من ولد بن إسماعيل، وموسى إسرائيلى، فطلب أن يكون من أمته فأخبره أن وقت ظهوره متأخر عنه، ولكن وعده أن يجمع بينهما فى دار الجلال، وهى الجنة[١] .

وفـى معـنى هـذا الحديـث مـا رواه الـزبير بن بكار والطبرانى من حديث ابن مسعود ولفظـه { صـفته أحمـد المتوكل، مولده مكة ومهاجره إلى طيبة، ليس بفظ ولا غليظ، يجزى بالحسـنة الحسـنة، ولا يكافـئ بالسيئة، أمته الحمادون، يأتزرون على أنصافهم، ويوضئون أطـرافهم، أناجيلهم فى صدورهم. يصفون للصلاة كما يـصفون للقتال، قربانهم الذى يتقربون به إلى دماؤهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار } .

والأحاديـث فـى هذا المعنى كثيرة، كلها متضافرة على التنويه بقدر نبينا ﷺ وببيان فضله، وفضـيلة أمـته بالتبعية له، وقد أشار الله تعالى ألى بعض ذلك فى سورة الفتح بقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ وَالَّذِيـنَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَلَـى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْـنَهُمْ تَـرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْـوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(الفتح:٢٩) . والله أعلم .

****

(١) وسميت فى أحاديث أخرى حظيرة القدس أيضاً ..

٧ ـ حديث: أفضل الأنبياء محمد ﷺ

عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ { قال لى جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد نبى أب أفضل من بنى هاشم } رواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما، وقال الحافظ ابن حجر: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

قولـه { قال لى جبريل: قلبت مشارق الأرض } .. الخ، هذا العموم لا يشمل جبريل ﵇ وإن كان الصحيح عند الجمهور أن المخاطب ـ بكسر الطاء ـ يدخل فى عموم خطابه، لقوله: فلم أجد رجلاً، والملك لا يسمى رجلاً، كما لا يسمى أنثى، وأيضاً فإنه قال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها، ولم يتعرض لسكان السموات الذين جبريل منهم، والحاصل: أن هذا الحديث يدل على أفضلية النبى ﷺ على أهل الأرض، أما سكان السموات، فلأفضليته عليهم .

أدلة أخرى: منها الحديث رقم (١١)[1] ولابن عساكر عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { ما ولدتنى بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعنى الأمم كابراً عن كابر، حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة } .

قولـه: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، أى: لوامع الصحة ظاهرة ..الخ، وهذه اللوائح اللوامع هى: موافقة الحديث للمنقول، ومطابقته للأصول، وانعقاد الإجماع على مضمونه، والله أعلم .

****

٨ ـ حديث: أسماء النبى ﷺ

عن جبير بن مُطْعِم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول { إنّ لى أسماء أنا محمدُ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحِى: الذى يمحو الله بى الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ: الذى يُحْشَرَ الناس على قدمى وأنا العاقبُ، والعاقب الذى ليس بعده نبى } رواه البخارى ومسلم .

قولـه: إن لى أسماء، أى: كثيرة، نقل ابن العربى فى شرح الترمذى والأحكام عن بعض الصوفية: إن لله تعالى ألف اسم، وللنبى ﷺ ألف اسم، قال الحافظ السيوطى: ألفت كتاباً فى شرح أسمائه الكريمة، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة . أهـ .

---

(١) والحديث المار قبل هذا تحت رقم (٦) وحديث ابن عساكر الذى ذكرت تعليقات عليه ..

وسردها القسطلانى فى (المواهب اللدنية) فزادت عن أربعمائة، تتبعها من كلام عياض فى (الشفاء) وابن العربى فى (الأحكام والقبس) وابن سيد الناس فى سيرته، والسخاوى فى (القول البديع) .

قال القاضى عياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً . اهـ . وأسماؤه كلها أوصاف تدل على مدحه وفضله، ثم ذكر النبى ﷺ من أسمائه خمسة:

الأول: محمد .. ومعناه: المحمود حمداً متكرراً .

الثاني: أحمد .. ومعناه: أحمد الحامدين لربه، أى: أكثرهم حمداً، قال القاضى عياض: كان ﷺ أحمد قبل أن يكون محمداً، كما وقع فى الوجود، لأن تسميته أحمد وقعت فى الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت فى القرآن، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس . اهـ، وذلك لأنه خلق قبلهن كما سبق، ونحو هذا للسهيلى أيضاً فى (الروض الأنف) وسلمه الحافظ فى الفتح، فاعترض ابن القيم عليه، وليس بجيد .

الثالث: الماحى .. ومعناه: الذى يمحى الله به الكفر من الجزيرة العربية، ومن سائر البلاد التى وصلت إليها دعوته وصاروا كلهم أو أغلبهم مسلمين .

الرابع: الحاشر .. وهو مفسر فى الحديث، وقوله: قدمى ضبط بتخفيف الياء وكسر الميم على الإفراد، وضبط بفتح الميم وتشديد الياء على التثنية، ومآل اللفظيين واحد، أى: يحشر الناس على آثر زمانى، لآنى آخر الأنبياء ليس بعدى نبى .

الخامس: العاقب .. وهو مفسر فى الحديث، ومعناه: الذى جاء فى عقب الأنبياء وكان أخرهم، فلا نبوة بعده .

ومن أسمائه ﷺ فى القرآن: عبد الله، النبى، الرسول، رسول الله، البشير، النذير، السراج المنير، الداعى إلى الله بأذنه، الشاهد، الشهيد، النور الرؤوف، الرحيم، المدثر، المزمل، خاتم النبيين، إلى غير ذلك مما استخرجه العلماء، ولا شك أن كثرة الأسماء، تدل على شرف المسمى ونبالة قدره، ومن أسماء الله التى سمى بها النبى ﷺ رؤوف، رحيم، نور، شهيد، كريم، مبين .

****

تنبيه

ذكر الحافظ أبو نعيم وتبعه غير واحد: أن الله تعالى لم يخاطب نبيه فى القرآن

باسمه المجرد، بل خاطبه بالوصف الدال على الرفعة وعلو القدر، نحو: يا أيها النبى، يا أيها الرسول، يا أيها المدثر، يا أيها المزمل، ونادى غيره من الأنبياء بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا داود. وهكذا، وأمرنا أن لا نناديه باسمه فقال ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾(النور:٦٣) قال ابن عباس وغيره: لا تقولوا يا محمد، يا أبا القاسم، ولكن قولوا: يا نبى الله، يا رسول الله، انتهى باختصار.

والوهابية وأشكالهم من الملحدين، يعرضون عن هدى القرآن، ويخالفون أمر الله، ويأبون إلا أن يذكروه باسمه المجرد كآحاد الناس، والعجب أن الواحد منهم يسود نفسه، ويخلع عليها الأوصاف الجميلة، مع أن الله يقول ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾(النجم:٣٢) فإذا جاء ذكر سيد الخلق بخلوا على اسمه بالسيادة التى يصفون بها أنفسهم، قاتلهم الله، ما أكثر إساءة أدبهم على الله ورسوله.

****

٩ ـ حديث: إثبات التمييز فى بعض الجمادات

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ { إنىّ لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلّم علىّ قبل أن أُبعثَ إنى لأعرفهُ الآن }[1] رواه مسلم فى صحيحه وغيره، وللترمذى عن على عليه السلام قال: كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

قلت: قصة تسليم الحجر والشجر عليه، واردة من طرق.

قولـه: { إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن } قال النووى: فى هذا إثبات التمييز فى بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى فى الحجارة ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾(البقرة:٧٤) وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾(الإسراء:٤٤) وفى هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله فيه تمييزا بحسبه كما ذكرنا، ومنه الحجر الذى فر بثوب موسى ﷺ وكلام الذراع المسمومة ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبى ﷺ، وأشباه ذلك اهـ.

---

(١) يسمى هذا الخارق إرهاصاً، لوقوعه قبل البعثة، ومعنى الإرهاص: الإعلام، بأن من وقع له الخارق، سيكون نبياً، ويؤخذ من الحديث، إلهام الجماد بنبوة النبى قبل وقوعها، وهذا كما تتنبأ بعض الحيوانات بالزلزال قبل وقوعه.

وقال ابن العربى فى الأحكام فى الكلام على قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ما لفظ المراد منه: ليس يستحيل أن يكون للجمادات فضلاً عن البهائم ثم تسبيح بكلام وإن لم نفقهه نحن عنها، إذا ليس من شرط قيام الكلام بالمحل عند أهل السنة هيئة آدمية ولا وجود بلة ولا رطوبة، وإنما تكفى له الجوهرية أو الجسمية خلافاً للفلاسفة وإخوانهم من القدرية الذين يرون الهيئة الآدمية، والبلة والرطوبة شرطاً فى الكلام، فإذا ثبت هذا الأصل بأدلته التى تقررت فى موضعه، وبأن كل عاقل يعلم أن الكلام فى الآدميين عَرَض يخلقه الله فيهم، وليس يفتقر العَرَض إلا لوجود جوهر أو جسم يقوم به خاصة، وما زاد على ذلك من الشروط فإنما هى عادة .

وللبارى تعالى نقض العادة، وخرقها بما شاء من قدرته لمن شاء من مخلوقاته وبريته، ولهذا حن الجذع لرسول الله ﷺ وسبح الحصى فى كفه وكف أصحابه، وكان بمكة حجر يسلم عليه قبل أن يبعث، وكانت الصحابة تسمع تسبيح الطعام ببركته ﷺ، ولم يكن لذلك كله بنية ولا وجدت له رطوبة ولا بلة، وعلى إنكار هذه المعجزات وإبطال هذه الآيات، حامت بما ابتدعته من المقالات . أهـ .

والأحاديث التى أشار إليها هو والنووى صحيحة، والمقصود أن تسليم الحجر والشجر كما فى هذا الحديث، وحديث علىّ الذى بعده معجزة عظيمة، أكرم الله بها نبيه وثبت به فؤاده، وقوى به حجته .

ففى مسند البزار وأبى يعلى ودلائل النبوة للبيهقى، وأبى نعيم بإسناد حسن، عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ كان على الحجون كئيباً لما أذاه المشركون، فقال { اللهم أرنى اليوم آية لا أبالى من كذبنى بعدها، فأمر فنادى شجرة من جانب الوادى فأقبلت تخد الأرض - تشق - خداً حتى وقفت بين يديه[1] فسلمت عليه ثم أمرها فرجعت إلى موضعها، فقال: لا أبالى من كذبنى بعدها من قومى } وتعددت هذه القصة لمناسبات كثيرة، كما ورد فى كثير من الأحاديث، وسنشير إلى بعضها .

وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال: كنا نأكل مع النبى ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام، قال العلماء: فى هذا تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته ﷺ .

---

(١) يسمى هذا الخارق آية تثبيت، لأنه ثبت فؤاد النبى ﷺ وقوى عزمه، وكان تبشيراً له بانقياد الخلق إليه بعد ذلك، وإجابتهم لدعوته .

قولـه: وللترمـذى عـن عـلى ﷺ .. الخ، رواه أيضـاً الدارمـى والحـاكم وصححه، وللـبزار وأبـى نعـيم عـن عائشـة قالـت: قال رسول الله ﷺ { لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمـر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله }[1] وسيأتى مزيد لهذا فى الحديث الثالث عشر بحول الله تعالى .

****

تنبيهـــات

الأول: قولـه فـى حديث الترجمة { إنـى لأعـرف حجـراً بمكة كان يسلم على } اخـتلف فـى هـذا الحجـر، فقيل: هـو الحجر الأسود ـ وفيه بعد ـ وقيل حجر غيره بزقاق يعـرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه، كذلك رواه الإمام أبو عبد الله ابن رشد (بضم الراء) فى رحلته بإسناده إلى أبى حفص الميانشى، عمن لقيه بمكة من أهلها .

الثانى: سئل الحافظ السيوطى عن رجل بيده حجر بلور يقعد على الطرقات ويقول: الأحجـار سـلمت عـلى النبى ﷺ، وهذا الحجر من جنسها، فقال له رجل: كذبت، فأيهما المخطئ؟ فأجـاب: ثبـت من طرق صحيحة أن الأحجار سلمت على النبى ﷺ، ولكن البلور بخصوص لم يرد فيه حديث، انتهى باختصار من كتاب (الحاوى للفتاوى) للسيوطى .

الثالـث: ذكـرت آنفـاً أن الأحاديـث التى أشار إليها النووى وابن عربى، فيما نقلته مـن كلامهمـا صـحيحة، وهـى كذلـك، إلا حديـث تسبيح الحصى فى كفه وكف أصحابه، فإنه حديث ضعيف، رواه البزار والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل، وهو حديـث مشـهور عـلى الألسنة، متداول ببين الناس، وضعفه ليس بشديد، وهو فى مثل هذا الـباب مقـبول لاسيما مع تأييده بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾(الإسراء: ٤٤)، وبحديث تسبيح الطعام وبتسليم الحجر والشجر، والله أعلم .

****

١٠ ـ حديث: أنشق القمر

عـن ابـن مسـعود ﷺ قـال: انشـق القمـر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق

---

(١) وروى البـيهقى عـن جابر بن عبد الله قال: لم يكن النبى ﷺ يمر بحجر ولا شجرة، إلا سجد لـه، وهذا فى ابتداء نبوته، تثبيتاً له أيضاً ..

الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ { اشهدوا } رواه البخارى ومسلم، ولهذه القصة طرق عن ابن مسعود وأنس وابن عباس عند البخارى ومسلم، وعن ابن عمر عند مسلم فى صحيحه، وعن جبير بن مطعم عند أبى نعيم والبيهقى وغيرهما .

قوله: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، لهذا الحديث ألفاظ فى الصحيحين هذا أحدهما .

ثانيهما: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ { اشهدوا } .. زاد الترمذى فى روايته: يعنى: (اقتربت الساعة وانشق القمر) ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفى رواية أبى داود الطيالسى عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبى كبشة، قال: فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فقال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك، وفى رواية البيهقى فسألوا السفار، وقد قدموا من كل وجه فقالوا: رأيناه .

وفى الصحيحين عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقين، وفى رواية مرتين، رواه الترمذى وزاد فيه: فنزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾(القمر: ١) إلى قوله ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾(القمر: ٢) يقول: ذاهب[1]، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. وفى الصحيحين عن ابن عباس قال: إن القمر أنشق على زمان الرسول ﷺ وفى صحيح مسلم عن ابن عمر قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ { اللهم اشهد } ورواه الترمذى بنحو مختصر، وقال حديث حسن صحيح .

وللبيهقى عنه فى قوله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين، فلقة دون الجبل، وفلقة فوقه، فقال ﷺ { اشهدوا } وهذا تفسير صحابى للآية، وتقدم تفسيرها بذلك عن أنس أيضاً، ويأتى تفسيرها عن حذيفة، وكل ذلك يؤكد أن انشقاق القمر وقع معجزة للنبى ﷺ .

أما الذين أولوا الآية على معنى: سينشق القمر عند اقتراب الساعة، فيرده أمران:

١ ـ مخالفته لتفسير الصحابة الذين شهدوا التنزيل، وشاهدوا انشقاق القمر .

---

(١) أى ذاهب فى الناس، شائع ببينهم، قالوا هذه الكلمة لما سألوا المسافرين، فأخبروا أنهم رأوه منشقاً.

٢ ــ أن القمر لا ينشق عند قرب الساعة، بل يجمع مع الشمس ويكوران، لقوله تعالى ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾(القيامة: ٩) ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾(التكوير: ١) أى: والقمر معها كما ثبت فى الحديث.

وفى سنن الترمذى عن جبير بن مطعم، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فلقتين، على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا، ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم، وكذا هو فى مسند الإمام أحمد، وفى رواية أبى نعيم والبيهقى عنه: انشق القمر ونحن بمكة[1]، وفى رواية أبى حذيفة الأرحبى عن على عليه السلام قال: انشق القمر ونحن مع النبى ﷺ. رواه الطحاوى فى مشكل الآثار، وورد حديث الانشقاق أيضاً عن حذيفة من طريق أبى عبد الرحمن السلمى، ومسلم بن أبى عمران الأذدى، وللطبراني والحاكم وغيرهما من طريق ابن عُلية عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن، قال: خطب حذيفة بالمدائن فقال: أن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ، وذكر حديثاً طويلاً، ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم أيضاً.

قال الحافظ بن عبد البر: قد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا، وتأيد بالآية الكريمة، اهـ.

وقال العلامة تاج الدين ابن السبكى فى شرحه المختصر ابن الحاجب: والصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما، من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبى معمر عن ابن مسعود ثم قال: وله طرق شتى بحيث لا يمترى فى تواتره، اهـ.

وقال القاضى عياض فى الشفاء: قال الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾(القمر: ٢) أخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضى وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه، اهـ.

ثم ذكر بعض الطرق، وأجاب عن اعتراض بعض المبتدعة فأجاد، وقال فى الشفاء أيضاً: أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه، واخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق

(١) جبير بن مطعم، شاهد انشقاق القمر بمكة وهو مشرك، ثم اسلم بعد ذلك وأخبر بما شاهده.

منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه، اهـ .

وقال الإمام الخطابى: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر فى ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع، فليس فيما يطمع فى الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، اهـ .

وقال الإمام النووى فى شرح مسلم: قال القاضى - يعنى عياضاً فى شرح مسلم أيضاً - انشقاق القمر من أمهات معجزات النبى ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة ﷺ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج فى كتاب (معانى القرآن) وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفى الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها، لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يفنيه ويكوره فى آخر أمره، وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم فى معرفته، ولم يختص به أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل فى الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والابواب مغلقة وهم متغطون فى ثيابهم .

نقل: من يتفكر فى السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب، والأنوار الطوالع والشهب العظام، وغير ذلك مما يحدث فى السماء فى الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد، ولا علم عند غيرهم كما ذكرنا، وكان هذا الانشقاق آية حصلت فى الليل، لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها .

وقالوا: قد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض الآفاق دون بعض، كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم، اهـ[1]. وبقية الأجوبة مبسوطة بإيضاح فى الشفاء والمواهب وشروحهما .

وقال الحافظ العراقى فى (ألفية السيرة) وانشق مرتين بالإجماع، قال الحافظ ابن حجر: قوله بالإجماع متعلق بانشق لا بمرتين، فإنى لا أعلم من جزم بتعدد الانشقاق، قال

---

(١) من اللطائف فى هذا الباب أن أبا بكر الباقلانى، لما أرسله صاحب الدولة إلى ملك الروم بالقسطنطينية (الآستانة) وعلم ملك الروم أن هذا أجلّ علماء المسلمين، أحضر بعض بطاركته ليناظره، فقال له: تزعمون أن القمر انشق لنبيكم. فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم؟ فقال له: وهل بينكم وبين المائدة أخوة أو نسب، إذ رأيتموها ولم تراها اليهود واليونان والمجوس الذين أنكروها وهم فى جواركم؟ فانقطع ولم يحر جواباً .

ولعل قائل مرتين ـ أي: كما في بعض الروايات ـ أراد فرقتين، وهذا الذى لا يتجه غيره جمعاً بين الروايتين .

****

تنبيهـــات

الأول: فى ضبط ألفاظ الحديث، قولَه: شقتين، هو بكسر الشين، وكذلك فلقتين وفرقتين، ومعناها واحد أى: صار قطعتين متباينتين، بحيث رؤى الجبل بينهما، والسفار ـ بضم السين وفتح الفاء المشددة ـ جمع سافر، وهم القوم المسافرون، وبقية ألفاظ الحديث واضحة .

الثانى: ما يذكره بعض القصاص واشتهر بين كثير من العوام من أن القمر دخل فى جيب النبى ﷺ وخرج من كمه، ليس له أصل كما نقله بدر الدين الزركشى عن شيخه الحافظ ابن كثير، ووافقه غير واحد، وسئل الإمام النووى ﷺ عن رجلين تنازعا فى انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: انشق فرقتين، دخلت إحداهما فى كمه، وخرجت من الكم الأخر، وقال الأخر: بل نزل إلى بين يديه فرقتين، ولم يدخل كمه، فأجاب: الاثنان مخطئان، بل الصواب: أنه انشق وهو فى موضعه من السماء، وظهرت منه إحدى الشقتين فوق الجبل، والأخرى دونه، هكذا ثبت فى الصحيحين من رواية مسعود ﷺ أهـ .

قلت: كوكب القمر مساحته مثل مساحة الكرة الأرضية، فمن المحال عقلاً أن تدخل شقة منه فى كم النبى ﷺ أو تنزل بين يديه .

الثالث: شاهد انشقاق القمر فى الليلة التى وقع فيها ملك بهوبال من الهند[1] واسمه بهوج بال، ذكره الفرشته[2] فى تاريخه، ونقله العلامة المحدث محمد أنور الكشميرى فى فيض البارى فى شرح صحيح البخارى، وجاء فى السنة الأولى من مجلة (الإنسان ص ١٥٠، ١٥١من العدد الصادر فى ٣٠ شوال سنة ١٣٠١ هـ) تحت عنوان (انشقاق القمر) ما لفظه: أخبر بعض السواحين الجائلين فى بلاد الصين، أنه يوجد معبد عظيم فى إحدى مدائن هذه المملكة مكتوب على بابه: أنه قد تم بناؤه فى تاريخ كذا، وأنه فى ليلة تمام البناء شاهد الجميع انشقاق القمر نصفين، فى وسط السماء، وبالتحقيقات التى أجراها فى ذلك التاريخ وجد

---

(١) وشاهده أيضاً جماعة كثيرة من بلاد مختلفة، كما ذكره الحافظ بن كثير فى تاريخه .

(٢) الفرشته: لقب المؤلف، واسمه: الحكيم محمد قاسم البيجابورى، وتاريخه فى أربعة أجزاء، كتب بالفارسية، وترجم إلى الأوربية، ألفه لإبراهيم عادل شاه، ملك بيجابور، وكان شيعياً، فرغ من تأليفه سنة ١٠١٥ هـ، كذا فى نزهة الخواطر ج٥ ص ٣٨٥ .

أن تلك الليلة كانت موافقة لليلة التى انشق فيها القمر بإشارته ﷺ، فمن يوصلنا إلى زيادة إيضاح فى هذه الآية الكبرى أعددنا له المكافأة شكرانا لا ينقطع مدى الدهر. اهـ[١] .

الرابع: ورد أن الشمس ردت على النبى ﷺ فروى الطحاوى فى (مشكل الآثار) من طريقين[٢] عن أسماء بنت عميس قالت: كان النبى ﷺ يوحى إليه ورأسه فى حجر على، فلم يصل العصر، حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ { أصليت يا على } فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ { اللهم إن كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس } قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض، وذلك فى الصهباء بخيبر .

قال الطحاوى: هذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات، ونقل عن الإمام أحمد بن صالح المصرى، أنه كان يقول: لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة . اهـ . ووافق الطحاوى على تصحيحه أيضا القاضى عياض فى الشفاء، ورواه الطبرانى فى الكبير[٣] بإسناد حسن كما نص عليه الحافظ أبو زرعة ابن

---

(١) انظر المجلد الأول من مجلة الإنسان بدار الكتب تحت رقم ٨٧٣ دوريات .

(٢) قال فى الطريق الأول: حدثنا أبو أمية ثنا عبيد الله بن موسى العبسى ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس، وقال فى الطريق الأخر حدثنا على بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ثنا أحمد بن صالح - هو المصرى الحافظ المشهور - ثنا ابن أبى فديك حدثنى محمد ابن موسى عن عون بن محمد عن أم جعفر عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها .

(٣) قال حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطى ثنا على بن المنذر ثنا محمد بن فضيل ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت على عن أسماء بنت عميس، وعزاه الحافظ فى الفتح إلى الحاكم والبيهقى أيضاً، ونص كلامه: وروى الطحاوى والطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى فى الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه ﷺ دعاء لما نام على ركبة على ففاتته صلاة العصر، فردت الشمس حتى صلى على ثم غربت، وهذا أبلغ فى المعجزة . وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده فى (الموضوعات) وكذا ابن تيميه فى كتاب (الرد على الروافض) فى زعم وضعه . والله أعلم اهـ بلفظه .. وقال الحافظ أبو بشر الدولابى فى كتاب (الذرية الطاهرة) حدثنى اسحق بن يونس ثنا سويد بن سعيد عن المطلب بن زياد عن إبراهيم بن حيان عن عبد الله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن على رضي الله عنه قال: كان رأس رسول الله ﷺ فى حجر على، وكان يوحى إليه . فلما سرى عنه قال لى { يا على صليت العصر؟ } فقلت: لا، قال { اللهم إنك تعلم أنه كان فى حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس } فردها عليه، فصلى فغابت الشمس، قال العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقى الصالحى فى جزء (مذيل اللبس عن حديث رد الشمس): أعلم أن هذا الحديث رواه الطحاوى فى كتاب (شرح مشكل الآثار)، وعن أسماء بنت عميس من طريقين، وقال: هذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات، ونقله القاضى عياض فى (الشفاء) والحافظ ابن سيد الناس فى (بشرى اللبيب) والحافظ علاء الدين مغلطامى فى كتاب (الزهر الباسم) وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدى، وحسنه الحافظ أبو زرعه ابن العراقى، وشيخنا الحافظ جلال ==

العراقى فى (شرح التقريب) أما ابن الجوزى فذكره فى الموضوعات، وتبعه ابن تيميه فحكم بوضعه أيضاً فى رده على الروافض لأجل ذكر على فيه، ولو ذكر أبو بكر أو عمر بدله، كان أول المصححين له بكل قواه[١] .

وانحراف ابن تيميه عن على وأهل البيت معروف، وحتى حكم عليه بالنفاق لأجل ذلك[٢] .

= الدين السيوطى فى (الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة) وقال الحافظ أحمد بن صالح، وناهيك به: لا ينبغى لمن سبيله العلم، التخلف عن حديث أسماء، لأنه من أصل علامات النبوة، وقد أنكر الحافظ على ابن الجوزى إيراده الحديث فى (الموضوعات)، فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى باب قول النبى ﷺ أحلت لكم الغنائم من (فتح البارى)، بعد أن أورد الحديث: أخطأ ابن الجوزى بإيراده فى (الموضوعات) . اهـ، ثم قال: أن هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت عميس، وعلى، وابنه الحسين، وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة ﷺ ثم أوردها، وتكلم على أسانيدها ثم قال: قد علمت مما أسلفناه من حكم الحفاظ فى هذا الحديث، وتبين حال رجاله أنه ليس فيه منهم ولا من أجمع على تركه، ولاح لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه، ولم يبق إلا الجواب عما أعل به، وقد أعل به بأمور، فذكرها وأجاب عنها بأجوبة شافية، وكذا فى كتاب (الأمم لأيقاظ الهمم) للعلامة المحقق الشيخ إبراهيم الكورانى، قلت: حسن الحافظ السيوطى حديث أسماء فى أواخر الدرر المنتثرة، وعزاه فى (الخصائص الكبرى) لابن شاهين، وابن منده، والطبرانى، وقال: بعض أسانيده على شرط الصحيح، وعزا حديث أبى هريرة لابن مردوية، وذكر فى (الآلى المصنوعة) جزء لبعض المتقدمين فى طرق هذا الحديث، أورده بتمامه، فليراجع هناك، بل للحافظ السيوطى نفسه جزء (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) وذكر الذهبى فى ترجمة الحافظ الحسكانى أن له مجلساً - يعنى مجلس إملاء - فى تصحيح حديث رد الشمس لعلى، ما يدل على تشيعه وخبرته بالحديث، ص ٣٦٨ ج ٣ تذكرة الحفاظ، طبعة ثانية بحيدر أباد، ولا تنسى أن الذهبى شامى. من تلاميذ ابن تيميه وأنظر كتاب (تنزيه الشريعة المرفوعة) لابن عراق..

(١) وقعت مناظرة فى هذا الحديث بين أبى حنيفة، ومحمد بن على ابن النعمان، حيث سأله أبو حنيفة، كالمنكر عليه، عمن رويت حديث رد الشمس لعلى؟ فأجابه: عمن رويت أنت يا سارية الجبل .. فأفحمه..

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمته من (الدرر الكامنة) أن العلماء حكموا بنفاق ابن تيميه، لما ثبت عليه من بغض على، وانحرافه عنه، وقد قال ﷺ لعلى عليه السلام { لا يبغضك إلا منافق } قلت: وقد اطلعت على رسالة له صغيرة، ذكر فيها: أن الأحاديث الواردة فى فضل على لا تثبت له ميزة على مطلق المؤمنين، فضلاً عن الصحابة وبين ذلك فى بعض الأحاديث التى ذكرها، بكلام ظاهر عليه آثر الحقد والتحامل، وفى كتابه الذى سماه (منهاج السنة) وهو فى الحقيقة - منهاج البدعة - تحامل كبير على علي. وانتقاص لعلي مقامه، خصوصاً أوائل الجزء الثالث منه، فإن فيه مع ذلك مساساً بفاطمة الزهراء عليها صلوات الله، ووصمها بشائبة النفاق، وقد عاقبه الله على هذه الوقاحة والخبث، فجعله إمام الناصبية والمبتدعة منذ وقته إلى الآن، فى كل زمان ومكان، فلا تجد عدواً لآل البيت، ولا خارجاً على الجماعة. إلا وليد أفكاره، وتلميذ كتبه الملأى بالضلال، فدونك المجسمة والمشبهة ومن على شاكلتهم، كلهم يعتمدون عليه، ويرجعون فى نصر بدعتهم إليه، ودونك أعداء الزيارة النبوية الذين يزعمون أنها معصية، لا حجة لهم فى زعمهم إلا كلامه، ودونك المتجرئين على القول فى الدين بالهوى والغرض، لم يكتسبوا جرأتهم إلا منه، وهكذا بقية صنوف البدع، هو الذى فتح أبوابها وسهل أسبابها ..

الخامس: فى أوسط معاجم الطبرانى بإسناد حسن كما قال أبو زرعه[1] ابن الحافظ العراقى عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار، وقال القاضى عياض فى (الشفاء) بعد أن نقل حديث أسماء بنت عميس، وكلام الطحاوى فى تصحيحه ما نصه: وروى يونس ابن بكير فى زيادة المغازى بروايته عن ابن إسحاق: لما أسرى برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير، قالوا: متى تجىء؟ قال { يوم الأربعاء } قال: فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجىء، فدعا ﷺ، فزيد له فى النهار ساعة، وحبست عليه الشمس[2]، وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات. اهـ.

ومن أراد زيادة على ما أوردناه، فليراجع (الشفاء، والمواهب وشروحهما والخصائص الكبرى للسيوطى وغيرها) والله أعلم.

* * * * * * *

١١ ـ حديث: الإسراء والبرق

عن أنس ﷺ { أن النبى ﷺ أتى بالبرق ليلة الإسراء به ملجماً مسرجاً فاستصعب عليه، فقال جبريل ﷺ: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فقال: فارفض عرقاً } رواه أحمد والترمذى والبيهقى وغيرهم، وحسنه الترمذى وصححه ابن حبان.

قوله: { أتى بالبراق } هو ـ بضم الباء وتخفيف الراء ـ دابة ـ أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، كذا جاء مفسراً فى صحيح مسلم من حديث أنس أيضاً.

قوله: { فاستصعب عليه } وفى رواية اشمأز، وفى رواية شَمَسَ، ومعنى الروايات واحد، وجزم السهلى بأن البراق إنما استصعب عليه، لبعد عهد ركوب الأنبياء قبله. ويؤيده ما جاء فى سيرة ابن إسحاق من رواية وثيمة فى ذكر الإسراء: فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم، ولم تكن ركبت فى الفترة.

قوله: { فما ركبك أحد أكرم على الله منه } يدخل فى هذا العموم جبريل نفسه، لأنه ممن ركب البراق، فيكون النبى ﷺ أكرم على الله منه، وعلى هذا انعقد الإجماع. إلا

---

(١) وكذا قال الحافظ ابن حجر فى (فتح البارى) والحافظ السيوطى فى (الخصائص الكبرى) ..

(٢) لا يعارض هذا الحديث أبى هريرة ـ فى صحيح البخارى ـ (لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون) لأن معناه: لم تحبس الشمس على أحد من الأنبياء غيرى، إلا ليوشع، وقال الحافظ ابن حجر: الحصر محمول على الماضى للأنبياء قبل نبينا، وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضى. اهـ.
قلت: لأن حرف (لم) معناه النفى فى الماضى، لا فى المستقبل.

ما كان من مخالفته الزمخشرى وابن حزم، وهو خلاف شاذ كما تقدم التنبيه عليه .

قولـه: فـارفض عـرقا: أى سال منه العرق لحيائه وخجله . وقصة الإسراء مذكورة فى القرآن، وواردة فى السنة المطهرة، رواها أكثر من عشرين صحابياً، وكذلك قصة المعراج ذكرت فـى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى[1] * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾(النجم:١٣-١٨) ووردت بها السنة المشرفة، إذ رواها الصحابة الذين رووا حديث الإسراء وغيرهم، ومـا يـروى عـن عائشـة فـى نفـس ذلك، باطل مكذوب، بل صح عنها رواية حديـث الإسـراء، كما رواه سائر الصحابة، وقد أفردت هذه القصة بالتأليف الكثيرة فللحافظ عبد الغـنى بـن سـعيد، كـتاب فـى جـزأين جمع فيه أحاديث الإسراء، وللإمام أبى إسحق النعمانى كـتاب حـافل فـى الإسـراء والمعراج مشحون بالفوائد والنفائس، وللإمام العلامة فخر المالكية، بل فخر المتأخرين قاطبة (ابن المنير) كتاب فى أسرار الإسراء والمعراج أجاد فيه كل الإجادة .

ولـلحافظ السـيوطى رسـالة الآيـة الكـبرى فـى شرح قصة الإسراء طبعت بالشام وهى مفـيدة. إلى غـير ذلـك ممـا لا يحصى من المؤلفات، هذا غير ما جاء عنها فى كتب التفسير والحديـث والسـيرة ممـا يطـول تتبعه واستقصاؤه، ومع ورود هذا المعجزة العظيمة فى القرآن والسـنة وإجماع العلماء على وقوعها نجد ملحدة العصر مثل هيكل ينكرونها ويؤولون وقوعها عـلى وجـه يوافق عقولهم الضيقة، وأمزجتهم السخيفة، تقليدا للمستشرقين أعداء الدين، أو طلبا للشهرة باسم ا لتجديد وحرية الفكر ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(المنافقون: ٤) .

* * * * * * * *

١٢ ـ حديث: نبع الماء من أصابع النبى ﷺ

عـن أنـس أيضـا قـال: { إن نـبى الله ﷺ وآلـه وسلم وأصحابه كانوا بالزوراء، فدعا بقـدح فـيه ماء، فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه، قال قتاده: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة } رواه البخارى ومسلم .

قلت: قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكررت عدة مرات، ووردت فى أحاديث كثيرة .

---

(١) تفـيد الآيـة: أن النـبى ﷺ وصل ليلة المعراج إلى سدرة المنتهى، وهى من عالم الآخرة الذى لا يفنى عند النفخ فـى الصور، ومعنى هذا أنه ﷺ طوى فى معراجه عالم الدنيا بكواكبه وسمواته إلى عالم الأخرى، البقاء فجمع بـين العـالمين، وتمت لـه السيادة على الفريقين، وتشرف برؤية البارى سبحانه، لأنه كان فى مكان لا يلحقه فناء، بخلاف موسى ﷺ فأنه لم ينل الرؤية، لكونه طلبها فى الدنيا، وهى لا تصلح لها، لأنها دار فناء .

قولَه: كانوا بالزوراء، مكان عند السوق بالمدينة المنورة .

قولَه: فدعا بقدح (بفتح القاف والدال) إناء يوضع فيه الماء .

قولـه: زهُاَء الـثلاثمائة، زهاء بضم الزاى وبالمد، أى قدر الثلاثمائة . قال القرطبى: قصـة نبع الماء من أصابعه ﷺ، قد تكررت منه فى عدة مواطن، فى مشاهد عظيمة، ووردت مـن طـرق كـثيرة يفـيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى . ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ،حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه .

وقـد نقـل ابـن عـبد الـبر عـن المزنى أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ فى المعجـزة مـن نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم، أهـ .

وقـال الـنووى فـى شـرح مسلم: وفى كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضى وغيره، أحدهمـا ونقلـه القاضـى عـن المـزنى وأكـثر العـلماء: أن معـناه أن المـاء كان يخرج من نفس أصـابعه ﷺ ويـنـبع مـن ذاتها، قالوا: وهو أعظم فى المعجزة من نبعه من حجر . ويؤيد هذا أنه جاء فى رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه .

والـثانى: يحـتمل أن الله كـثَّر المـاء فـى ذاته، فصار يفور من بين أصابعه،[1] لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة، وآية باهرة .. أهـ .

وقصـة نـبع المـاء وقعت فى المدينة، وفى قباء، وفى غزوة بواط بضم الباء موضع على أبـراد من المدينة، وفى غزوة الحديبية وتبوك، ورواها من الصحابة أنس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وابن عباس .. وغيرهم، وأغلب طرقها فى الصحيحين أو أحدهما .

* * * * * * * *

---

(١) وهـذا المـاء أشـرف المـياه، قالـه سراج الدين البلقينى، وهو ظاهر . ويقرب من هذه المعجزة ما رواه ابن اسـحق فـى المغـازى عـن عمـرو بـن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمروا ابن العاص، عن أبيه، عن جـده عبد الله ﷺ: أن أبا طالب قال: كنت بذى المجاز - وهى سوق بقرب عرفة - فأدركنى العطش . فشـكوت إلى ابـن أخـى - يعـنى النـبى ﷺ - فقلت: يا ابن أخى عطشت . وقلت لـه ذلك وأنا لا أرى عـنده شـيئا . فثـنى وركـه، ثـم نـزل عن الدابة، وكان ﷺ رديفا لأبى طالب . وقال: (ياعم عطشت)؟ فقلـت: نعـم . فـأهوى بعقبه إلى الأرض - أى ضرب الأرض بقدمه - فإذا بالماء . فقال: (أشرب ياعم) فشربت . ورواه ابن سعد وابن عساكر وغيرهما . وهذا حديث عزيز نادر، يرويه أبو طالب، ولا أعلم له حديـثا آخـر رواه، إلا ما أخبرنى به شقيقى الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى: أنه روى حديثا، قال فيه: حدثنى ابن أخى محمد (وصدق) { أن من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة } .

تنبيـــــــــــه

مما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء ما رواه الإمام مالك فى الموطأ ومسلم فى الصحيح عن معاذﷺ: أن رسول الله ﷺ قال لهم: { إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاء فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى } قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشىء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ { هل مسستما من مائها شيئا } قالا: نعم { فسبهما، وقال لهما: ما شاء الله أن يقول } ثم غرفوا من العين قليلا قليلا، حتى اجتمع فى شىء ثم غسل ﷺ به وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال ﷺ { يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملىء جنانا ـ يعني بساتين ـ } زاد ابن اسحق فى روايته: {فانحرف الماء حتى كان يقول من سمعه إن له حسا كحس الصواعق } وذلك الماء فوارة تبوك اليوم. ولهذه القصة نظائر فى الصحيحين وغيرهما[1]، والله أعلم.

****

١٣ ـ حديث: جاء إعرابى

عن ابن عباس ﷺ، قال: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ، فقال: بم أعرف أنك نبى؟ قال ﷺ { أرأيت لو دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله؟ } قال: نعم. فدعا العذق، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض، فجعل ينقر حتى انتهى إليه فقام بين يديه، قال له النبى ﷺ { أرجع إلى مكانك } فرجع إلى مكانه، فاسلم الأعرابى، رواه أحمد والبخارى فى التاريخ والترمذى والحاكم وصححاه وغيرهم.

قلت: قصة إجابة الشجر وسجوده وسلامه تعددت ووردت فى غير حديث.

---

(١) فى صحيح البخارى عن المسور بن مخرمة فى غزوة الحديبية: أن النبى ﷺ، وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية، على ثمد قليل الماء. فلم يلبث الناس حتى نزحوه، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش. فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه. فوالله ما زال يجيش لهم بالرى، حتى صدروا عنه الثمد بفتحتين. حفرة فيها ماء ـ وفيه أيضا عن البراء بن عازب ﷺ: أن النبى ﷺ توضأ فتمضمض ودعا ومج فى بئر الحديبية منه، فجاشت بالماء. وفى مغازى أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن الأسدى المدنى، يتيم عزوة بن الزبير. عن عروة: أن النبى ﷺ توضا فى الدلو ومضمض فاه، ثم مج فى الدلو، وأمر أن يصب فى البئر. ونزع سهما من كنانته وألقاه فى البئر. ودعا الله تعالى، ففارت إلى ا ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها، وهم جلوس على شفيرها. وهذه الرواية توضيح وبي لرواية البراء المختصرة، وقصة البئر هذه، غير قصة الثمد. فهما معجزتان، وقعتا بالحديبية.

قولـه: لـو دعـوت هـذا العِـذْق ـ بكسـر العين وسكون الذال المعجمة معروف ـ وبقية ألفـاظ الحديـث واضـحة، وفـيه معجـزة باهرة، وآية ظاهرة. وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط مسلم، وسلمه الذهبي.

وفـي صـحيح مسـلم عـن جابـر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهـب رسـول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم يجد شـيئاً يسـتتر بـه، فـإذا شـجرتان في شاطئ الوادى فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداها فأخذا بعض من أغصانها فقال { انقادى على بإذن الله } فانقادت معه كالبعير المخشوش[1] الذى يصـافح قـائده ثـم صـنع بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالمَنصف (بفتح الميم الموضع الوسط) بينهما قال التئما (اجتمعا) على بإذن الله، فالتأمتا، الحديث.

وروى الـبزار والبـيهقي فـي الدلائـل بإسـناد جيد عن ابن عمر قال: كنا فى سفر مع رسـول الله ﷺ فأقـبل أعـرابى. فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ { أين تريد؟ } قال: إلى أهـلى، قـال ﷺ { هـل لـك إلى خـير؟ } قال: وما هو، قال ﷺ { تشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك لـه وأن محمداً عبده ورسوله } قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟، قال رسـول الله ﷺ { هـذه الشـجرة } فدعاهـا رسـول الله ﷺ وهـى على شاطئ الوادى فأقبلت تخد الأرض خداً فقامت بين يديه. فاستشهدها ثلاث فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها.

وروى الـبزار مـن طريق صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاء رجل إلى الـنبى ﷺ فقـال: أرنـى آيـة؟ قـال ﷺ { اذهـب إلى تلـك الشجرة فادعها } فذهب إليها فقـال: أن رسـول الله يدعـوك. فمالـت عـن كـل جانـب منها حتى قلعت عروقها، ثم أقبلت حـتى جـاءت إلى الـنبى ﷺ فأمـرها أن ترجع، فقام الرجل فقبل رأسه ويديه ورجليه وأسلم. رواه ابـن الأعـرابى فـى جـزء القـبل مـن هذا الطريق، وقال فى آخره: ائذن لى أن أقبل رأسك ورجلـيك، فـأذن لـه فقـبل رأسـه[2] ورجلـيه، ثـم قال: ائذن لى أن اسجد لك، قال ﷺ { لا يسـجد أحد لأحد } وعزاه الحافظ العراقى فى المغنى وقال: قال: صحيح الإسناد، أهـ، وفى المسـتدرك عـن يعـلى بـن مـرة قال: سافرت مع رسول الله ﷺ فرأيت منه شيئاً عجبا! نزلنا مـنزلاً فقـال { أنطلـق إلى هـاتين الشـجرتين فقـل لهمـا أن رسـول الله يأمـركما أن تجتمعا }

(١) بالخـاء والشين المعجمتين. هو الجمل الذى يوضع فى أنفه عود من حشاش الأرض لينقاد، وإنما نبهت عليه لأنى رأيت القائمين على طبع المجلد الأول من التمهيد بالمغرب، لم يهتدوا لوجه الصواب فيه.

(٢) هـذا الحديـث يـرد عـلى الذيـن يزعمون حرمة التقبيل على وجه التعظيم. وقد أوردته مع أحاديث كثيرة فى جزء " أعلام النبيل بجواز التقبيل" طبع مكتبة القاهرة.

فانطلقت، فقلت لهما ذلك، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها، فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعاً، فقضى رسول الله ﷺ حاجته من ورائهما، ثم قال { انطلق لتعود كل واحدة إلى مكانها } فأتيتهما فقلت لهما ذلك، فعادت كل واحدة إلى مكانها .

ثم ذكر معجزتين أخريين شاهد لهما[1]، قال الحاكم: حديث صحيح، وسلمه الذهبي، وفي الصحيحين عن مسروق قال: سألت ابن مسعود: من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال آذنته (أعلمته) بهم شجرة، وبقيت أحاديث أخرى أيضاً، اكتفينا عنها بما أوردناه هنا، وفي شرح الحديث التاسع، وبالله التوفيق .

****

١٤ ـ حديث: حنين الجِذْع

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان جِذْع يقوم إليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجِذْع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت، رواه البخاري في صحيحه، وله طرق عن جابر وبريدة وعائشة وابن عمر وأنس وأبي كعب وأبي سعيد الخدري وابن عباس وأم سلمة وسهل بن سعد وغيرهما .

وروى أبو حاتم الرازي الإمام العلم عن شيخه عمر بن سواد، قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال أعطى محمداً حنين الجِذْع فهذا أكبر من ذاك .

قولَه: كان جِذْع يقوم إليه النبي ﷺ أي: يتكئ عليه حال الخطبة وذلك قبل أن يصنع له المنبر، فلما صنع له خطب عليه، فسمع للجِذْع (بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة) مثل أصوات العِشار (بكسر العين) جمع عشراء وهي الناقة التي لحملها عشرة أشهر، أو الحامل مطلقاً .

قولَه: فوضع يده عليها فسكت، في رواية للبخاري: فنزل النبي ﷺ وضمها إليه (أي السارية التي هي الجذع) فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها، ولهذا الحديث طرق عن البخاري ومسند أحمد، ولا بأس أن نشير إلى عزو الطرق المشار إليها في المتن، مع بيان ما في بعضها من الزوائد،

---

(١) ذكرت هذا الحديث بتمامه وشرحته في سمير الصالحين جـ٢، ولله در البوصيري حيث قال:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة   تمشي إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطراً لما كتبت   فروعها من بديع الخط في اللقم

فحديث بريدة رواه الدارمى من طريق عبد الله بن بريدة عن أبيه، وفيه من الزيادة ما نصه: فرجع النبى ﷺ فوضع يده عليه وقال { اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك فى الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك } . فسمع النبى ﷺ وهو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين فسئل النبى ﷺ فقال { اختار أن أغرسه فى الجنة } .

وحديث عائشة رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل بنحو حديث بريدة، وحديث بن عمر رواه البخارى وأحمد، وحديث أنس رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والدارمى وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقى، وفيه { خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد بخواره، فنزل إليه رسول الله ﷺ فالتزمه فسكت فقال: والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله ﷺ } قال الترمذى حديث صحيح غريب، ورواه البغوى عن طريق الحسن عن أنس، وزاد عليه: فكان الحسن ـ يعنى البصرى ـ إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، لمكانته عند الله، وأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه .

وحديث أبى بن كعب رواه الشافعى وأحمد والدارمى وابن ماجة وأبو يعلى وسعيد ابن منصور وأبو نعيم والبيهقى، وحديث أبى سعيد الخدرى، رواه عبد بن حميد وابن أبى شيبة والدارمى وأبو نعيم .

وحديث ابن عباس رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم، ورواه أيضاً ابن سعد وابن ماجة والدارمى وأبو نعيم والبيهقى . وحديث أم سلمة، رواه أبو نعيم والبيهقى . وحديث سهل بن سعد رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وروى الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن المطلب بن أبى وداعة، قال: كان النبى ﷺ يسند ظهره إلى جذع فى المسجد إذا خطب، فلما جعل له المنبر، وجلس عليه، خار الجذع خوار الثور، فاقبل عليه حتى التزمه فسكن، وقال: لا تلوموه فإن رسول الله ﷺ لم يفارق شيئاً إلا وجد (أى: حزن) عليه .

قال البيهقى: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف، أهـ .

وقال القاضى عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر، أهـ . ثم ذكر عشرة من الصحابة .

وقال التاج ابن السبكى فى رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: والصحيح عندى أن حنين الجذع متواتر، رواه البخارى عن نافع عن ابن عمر، ورواه أحمد من رواية أبى جناب عن أبيه عن ابن عمر، ورواه ابن ماجة وأبو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، وإسناده على شرط مسلم، ورواه الترمذى وصححه، وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى من رواية اسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة عن أنس، ورواه الطبرانى من رواية الحسن عن أنس، ورواه أحمد وابن منيع والطبرانى وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس، ورواه أحمد والدارمى وأبو يعلى وابن ماجة وغيرهما من رواية الطفيل ابن كعب عن أبيه، ورواه الدارمى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد ورواه أبو محمد الجوهرى من رواية عبد العزيز بن أبى رواد .

عن نافع عن تميم الدارى قال: ولست أدعى أن التواتر حاصل بما عددت من الطرق، بل من طرق أخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والأجزاء، وغيرها، أهـ . ولهذا أدرجه السيوطى فى كتابه الذى ألفه فى المتواتر، ولكن قال الحافظ فى الفتح إنه نقل نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة لهم فى ذلك أهـ .

ولا شك أن معجزة خنين[1] الجذع أكبر من أحياء الموتى، كما قال الإمام الشافعى، لأن خنين الجماد وبكاءه كالطفل؛ أبعد وأغرب من عودة الحياة إلى جسم كان حياً، وستعود إليه الحياة عند بعثه، فالميت ليس بجماد صرف، بل من شأنه الحياة، كما لا تخفى، والله اعلم .

****

١٥ - حديث: مسح رأسه بيده

عن حنظله بن حذيم: أن النبى ﷺ مسح رأسه بيده وقال له { بورك فيك } قال الذيال: هو حفيد حنظلة وراوى الحديث عنه، فرأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم فيتفل فى يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم . رواه الإمام أحمد والبخارى فى التاريخ والطبرانى والبيهقى وغيرهم، وإسناد الحديث لا بأس به .

---

(١) خنين الجذع، اشتهر بين المحدثين بالحاء المهملة، والصواب عندى أنه بالخاء المعجمة. وهو صوت البكاء الخارج من الخياشيم، شبه به صوت الجذع، أما الحنين بالحاء المهملة، فهو الشوق، وهو معنى باطنى لا صوت له .

حـنظله .. بفتح الحاء والظاء بينهما نون ساكنة، وحذيم بضم الحاء، وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمى له ولأبيه ولجده صحبة .

قولـه: مسح رأسـه بيده .. الخ، وسبب ذلك: أن أباه حذيما وجده حنيفة وأعمامه أتـوا إلى النـبى ﷺ فـى خصـومة لهـم ومعهم حنظلة غلام، فقال أبوه للنبى ﷺ: إن لى بنين ذوى لحـى وإن هذا أصغرهم، فادع الله له . فمسح رأسه بيده، وقال له { بورك فيك } أو {بارك الله فيك } شك من الراوى، فكان من أثر مسحه ودعائه ما ذكر فى الحديث .

والصَـلعة ـ بفـتح الصـاد ـ مـا أنحسـر عنه الشعر من مقدم الرأس، وضرع الشاة معروف، وهـذا غـير كـثير فـى جانـب بركته ﷺ، وما ورد من برء ذوى العاهات والأمراض بتفله ﷺ، أو مسـح يـده أو دعائه، لشىء كثير جداً لو جمع لجاء فى كتاب حافل، ولعل الله يوفقنا إلى جمع ذلك بعد الانتهاء من هذا الكتاب بحول الله[1]، ورجال هذا الحديث ثقات ومعناه صحيح .

****

١٦ ـ حديث: قصعية من غدوة

عـن سمُـرة بـن جندب قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ نتداولُ فى قَصعيةٍ من غدوةٍ حتى الليل يقوم عشرةٌ ويقعد عشرةٌ، قلنا: فمما كانت تمدُّ قال: { من أى شىء تعجبُ؟ ما كانت تمتد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء } رواه الترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه.

وقصـة تكـثير الطعام وردت فى أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما (سمرة بضم المـيم، والقصـعة بفـتح القـاف) ومـن اللطـائف اللغويـة قولهـم: لا تكسر القصعة، ولا تفتح الجـراب، والغـدوة مـا بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وهذا الحديث صححه الحاكم على

(١) وفـى صـحيح مسـلم والسـنن الأربعـة إلا الترمذى عن أسماء بنت أبى بكر ﵄: أنها أخرجت جبة طيالة ذات أعـلام خضـر . وقالـت: كـان رسـول الله ﷺ يلبسـها . فـنحن نغسـلها، فنسـتشـفى بهـا . وفـى الصـحيحين فـى غزوة خيبر: أنه ﷺ دعا عليا ليعطيه الراية فجيىء به يقاد لرمد شديد أصابه . فتفل فى عينـيه، فبرأ كأن لم يكن بها وجع . وفى صحيح البخارى عن سلمة بن الأكوع، قال: أصابتنى ضربة فى سـاقى يـوم خيبر . فقال الناس: أصيب سلمة. فأتيت النبى ﷺ. فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيتها بعد ذلك قط، وروى أبو الشيخ فى كتاب الأخلاق النبوية عن محمد بن مهاجر .قال: كان متاع رسول الله ﷺ، عـند عمـر بـن عـبد العزيـز، فـى بيـت يـنظر إلـيه كل يوم . قال: وكان ربما إجتمعت إليه قريش، فأدخـلهم فـى ذلك البيت . ثم أستقبل ذلك المتاع فيقول: هذا ميراث من أكرمكم الله به، وأعزكم الله به . قـال: وكـان سـريرا مـرمولا بشريط، ومرفقة من أدم محشوة بليف، وجفنة، وقدح، وقطيفة صوف، كأنها جرمقانـية . ورحى، وكنانة، فيها أسهم . قال: وكان فى القطيفة أثر وسخ رأسه . فأصيب رجل، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ فيعطبه . فذكر ذلك لعمر، فسعط فبرأ .. أهـ .

شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وفيه معجزة كبيرة فى تكثير الطعام القليل.

ولهذا نظائر كثيرة فى الصحيحين، عن جابر فى غزوة الخندق قال: فانكفأت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شىء؟ فإنى رأيت النبى ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن، فذبحتها وطحنت الشعير، ثم جئت النبى ﷺ فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهيمة - بالتصغير - لنا وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفراً معك، فصاح النبى ﷺ { يا أهل الخندق إن جابر صنع سواراً - أى: طعاماً - يدعوا إليه الناس فحى هلا بكم } فقال ﷺ { لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء برجال } فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال { أدع خابزة فلتخبز معك واقدحى - أى: اغرفى - من برمتكم ولا تنزلوها } وهم ألف، فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هى، وإن عجيننا ليخبز كما هو، ووقعت قصص من هذا القبيل فى غزوة الخندق وتبوك وغيرهما، وهى مخرجة فى الصحيحين، وبقية كتب الحديث والسيرة .

****

١٧ - حديث: شق قلب النبى ﷺ

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال (هذا حظ الشيطان منك) ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره (مرضعته) - فقالوا: أن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: ولقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره، رواه مسلم فى صحيحه .

قولَه: فصرعه .. أى: أضجعه على الأرض إضجاعاً لطيفاً، كما فى رواية شداد بن أوس.

قولَه: عَلَقَة بفتحات .. أى : قطعة دم منعقدة .

قولَه: هذا حظ الشيطان منك .. يعنى: أن العلقة أو المضغة السوداء، كما فى رواية أخرى. هى محل وسوسة الشيطان من قلب الإنسان، فحيث أزيلت عنك ذهب حظ الشيطان ونصيبه منك .

قولَه : ثم غسله فى طست - بفتح الطاء، ويجوز ضمها وكسرها، وبالسين المهملة ويجوز أعجامها .

قولَه: ظئره هى المرضع .

قولَه: منتقع اللون .. أى: متغير اللون، مثل النقع وهو الغبار .

وفى حديث شداد بن أوس: أن رسول الله ﷺ قال { كنت مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرباً مسرعين إلى الحى، فعمد إلىّ أحدهم فأضجعنى على الأرض اضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى، وأنا أنظر إليه، لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها، ثم قام الثانى فقال لصاحبه: تنح، ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدعه، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئاً، فإذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه، فختم به قلبى فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح، فأمّر يده بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضاً لطيفاً، ثم قال للأول: زنه بعشرة من أمته، فوزننى بهم، فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فرجحتهم، فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضموني إلى صدورهم وقبّلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا: يا حبيب لم ترع أنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك } الحديث، رواه أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر .

وفى حديث أبى ذر عند الدارمى { فما هو إلا وليا عنى فكأنما أرى الأمر معاينة }

وفى رواية ابن غنم عند الدارمى أيضاً { أن جبريل عليه السلام قال: قلب وكيع - شديد - فيه عينان تنظران، وإذنان تسمعان } وللحديث طرق أخرى[1] .

والحكمة من شق صدره الشريف واستخراج العلقة من قلبه تطهيره من حالات الصبا، وتنشئته على الرجولة التامة، ولهذا نشاء ﷺ على أكمل الحالات، وأفضل الصفات لم يمل إلى شىء مما يميل إليه الصبيان، ولم يستهوه ما استهوى غيره من الشبان والفتيان، حتى أكرمه الله بنبوته، وأصطفاه لرسالته ﷺ .

ثم شق صدره الشريف مرة ثانية: عند بعثته ﷺ ليتلقى الوحى بقلب قوى، واستعداد كامل .

---

(١) منها حديث عتبة بن عبد السلمى عند الحاكم، وصححه على شرط مسلم، وسلمه الذهبى .

ثم شق صدره الشريف للمرة الثالثة: ليلة الإسراء كما ثبت في البخاري وغيره، ليتهيأ للترقي إلى الملأ الأعلى والثبوت في المقام الأسنى، وليتقوى قلبه لمشاهدة العلى الأعلى، ولهذا لما لم يتفق لموسى ﷺ مثل هذا التهيؤ والاستعداد لم تتفق له الرؤية[١].

---

(١) قال الحكيم الترمذي: حدثنا محمد بن رزام الأيلي، ثنا محمد بن عطاء الهجيمي، ثنا محمد بن نصير، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ قال ﴿ يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ﴾ أما نبينا ﷺ فالراجح عند أكثر العلماء كما قال النووي: أنه رأى ربه ليلة الإسراء رؤية بصرية، وروى الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، فقلت: أليس يقول الله ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين، وروى النسائي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم أيضا عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ وللطبراني في الأوسط بإسناد رجاله رجال الصحيح غير واحد، فوثقه ابن حبان عن ابن عباس أنه كان يقول: إن محمدا ﷺ رأى ربه مرتين مرة ببصره، ومرة بفؤاده، وروى ابن خزيمة بإسناد قوى عن أنس قال: رأى محمد ربه، وروى ابن خزيمة عن عبد الرازق عن معتمر بن سليمان عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله: لقد رأي محمد ربه، وروى ابن خزيمة أيضا عن كعب قال: أن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما، فرآه محمد مرتين، وكلم موسى مرتين، وروى أيضاً عن عروة بن الزبير: إثبات الرؤية أيضاً، وروى ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، عن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والإقتداء بهم، وذكر شيئا من العقيدة، إلى أن قال: وأن النبي ﷺ قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ، صحيح، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس. والحديث عندنا على ظاهره، كما جاء عن النبي ﷺ .. أهـ، وروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لأحمد: إنهم يقولون أن عائشة قالت: من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فبأى معنى يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ { رأيت ربى } فقول النبي أكبر من قولها .أهـ . وهذا الحديث رواه ابن عباس، وأشار أحمد إلى طرقه في كلامه أنفا، وأفرد ابن خزيمة في كتاب التوحيد بابا لرؤية النبي ﷺ ربه تعالى، وأطال الاستدلال لذلك، وأجاب عن كلام عائشة بأنها نفت الرؤية، وابن عباس وأنس وغيرهما أثبتوها، والإثبات مقدم على النفي، وروى عن عبد الرازق قال: ذكرت لمعمر حديث عائشة، فقال: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، قال ابن خزيمة: ومحال أن يقال ابن عباس أعظم على الله الفرية، ولا أظن أحد من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس أثبت الرؤية بالظن والرأى، ولا أنس ابن مالك، ولا أبو نر، هذا ملخص كلام ابن خذيمة، وأما قوله تعالى ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ فلا يدل على نفي الرؤية لوجهين:

الأول: أن الأبصار لفظ عام، أى: لا تدركه عموم أبصار الناس، وخص منه بصر النبي ﷺ على سبيل التمييز والإكرام، فتكون الآية من قبيل العام المخصوص.

الثاني: أن الإدراك معناه: الإحاطة، فالآية الكريمة تنفى الإحاطة، ونفى الإحاطة لا يستلزم نفى الرؤية، ألا ترى أن المؤمنون يرون الله في الجنة، ولا يحيطون به، بل نحن نرى الشمس والقمر، ولا نحيط بهما، فكذلك النبي ﷺ رأى الله من غير أن يحيط به، وتعالى الله عن أن يحيط به أحد من خلقه.

وأما حديث أبى ذر: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال { نور أنى أراه } فأجاب عنه ==

وفـي هـذا الحديـث لطـائف مـنها: أنـه تحقـق بشـق صـدره، وصدع قلبه، إكرامه بالصبر الجمـيل، كمـا تحقـق لجده إسماعيل الذبيح، مثل ذلك لصبره على مقدمات الذبح فأثنى الله عليه بذلك، ولكن صبر نبينا ﷺ أشد، واحتماله أقوى للفارق العظيم بين الأمرين كما لا يخفى.

ومـنها: غسـل قلـبه بطسـت مـن ذهـب وفيه كما قال الحافظ مناسبات منها: أنه من أوانـي الجـنه. ومـنها: أنـه لا تأكلـه الـنار ولا الـتراب، ولا يلحقه الصدأ. ومنها: أنه أثقل الجواهـر، فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام، لأنه من أواني أهل الجنة. ولا تأكله النار ـ ولا الـتراب، إن الله حـرم عـلى الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولا يلحقه الصدأ، وأنه أثقل من كل قلب عدل به. وفيه مناسبة أخرى: وهي ثقل الوحي فيه، هذا كلام الحافظ في الفتح.

وقـال السهيلي وابن دحية: إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه، وإن نظر إلى معناه، فلوضاءته ونقائه .. اهـ.

ومـنها: مـا ذكره العارف ابن أبي جمرة: أنه أعطى برؤيته شق صدره وقلبه الشريفين عدم الخوف من العادات الجارية بالهلاك، فحصلت لـه ﷺ قوة الإيمان من ثلاثة أوجه:

(١) قوة التصديق (٢) والمشاهدة (٣) وعدم الخوف من العادات المهلكات.

فكمـل لـه ﷺ بذلـك مـا أريـد مـنه مـن قـوة الإيمان بالله ﷻ، وعدم الخوف مما سواه. ولأجل ما أعطيه مما أشرنا إليه كان ﷺ في العالَمين ـ بفتح الميم ـ أي: العالم العلوى والعالم السفلى، أشجعهم وأثبتهم وأعلاهم حالا ومقالا.

ففى العلوى كان كما أخبر ﷺ: أن جبريل عليه السلام لما وصل معه إلى مقامه قال: هاأنت وربـك، هـذا مقـامي لا أتعداه. فزج فيه أى في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هناك فـي الحضـرة كمـا أخبر عنه ﷻ بقوله ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾(النجم:١٧) وأما حاله ﷺ فـي هـذا العالم، فكان إذا حمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في بحر العدو وهم شاكون سـلاحهم. ويقـول: { أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب } .. اهـ. وهو نفيس. لكن ما ذكره عن جبريل من قوله: هذا مقامي لا أتعداه، لم أقف له على إسناد

تنبـيه: تحـريم اسـتعمال الذهـب إنمـا حصـل في المدينة بعد الهجرة، وشق الصدر

== ابـن خذيمـة بأنـه يجوز أن يكون سأله قبل حصول الرؤية، ثم حصلت بعد ذلك، قلت: ويتأيد هذا بما ثبت عن أبي ذر نفسه أن النبي ﷺ رأى ربه بقلبه، وثبت ذلك عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أيضا رواه عنهما ابن خزيمة. وأنظر ما كتبناه في التعليق رقم (١) على الحديث رقم (١١).

حصل قبل ذلك، فلا يرد أن يقال: كيف صح غسل قلبه فى طست من ذهب وهو محرم؟ لأن استعمال الذهب إذ ذاك كان مباحا، والله ﷻ أعلم .

****

١٨ ـ حديث: فضل محمد ﷺ على الأنبياء

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { فُضّلتُ على الأنبياءِ بستّ، أُعطيتُ جوامعَ الكلم، ونُصرتُ بالرُّعبْ، وأُحِلَّت لِى الغنائمُ، وجُعِلَتْ لِى الأَرضُ طَهوراً ومَسْجداً وأُرسِلْتُ إلى الخَلق كافّةً، وخُتِم بى النبيون } رواه مسلم فى صحيحه .

قولَه: فضلت على الأنبياء بست، هذا العدد لا مفهوم له لأن له فضائل غير هذه الست كما سيأتى قولَه، أعطيت جوامع الكلم، أى الكلم الجوامع وهى الأحاديث القليلة اللفظ الكثيرة المعنى، كحديث{ إنما الأعمال بالنيات } فإن فيه من الأحكام والفوائد ما أفرد بالتأليف، وله نظائر كثيرة، ذكر جملة منها القاضى عياض فى الشفاء . وأحاديث الأربعين النووية، كلها كلمة جوامع وهى متداولة مشهورة .

قولَه: ونصرت بالرعب .. أى أن الله ينصره بقذف الرعب فى قلوب أعدائه، زاد فى رواية أخرى فى الصحيحين من حديث جابر: ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر.

قولَه: وأحلت لى الغنائم .. زاد فى رواية جابر: ولم تحل لأحد قبلى، والغنائم جمع غنيمة، وهى ما يغنم من العدو فى الجهاد، وكان من قبلنا إذا غنموا غنائم . جمعوها فى مكان فتأتى نار من السماء فتأكلها . وكذلك جاء مبينا فى حديث الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، وجعلت لى الأرض طهورا ـ بفتح الطاء .. أى: يتيمم بأجزائها . وأستدل به على أن التيمم يرفع الحديث: كالوضوء .

قولَه: ومسجدا أى موضعا للسجود لا يختص مكان منها دون الآخر، وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: وكان من قبلى إنما يصلون فى كنائسهم ، وفى حديث ابن عباس عند البزار: ولم يكن أحد من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه . واستدل المالكية والحنفية بقوله: وجعلت الأرض طهورا، على جواز التيمم بجميع أجزاء الأرض من تراب ورمل وحجر ونحو ذلك

وخصص الشافعية التيمم بالتراب فقط، متمسكين برواية حذيفة فى صحيح مسلم: وجعلت تربتها لنا طهورا . قالوا: فهذا خاص يحمل عليه غيره من الروايات التى وردت عامة، ونوقشوا فى هذا الاستدلال مناقشات قوية يترجح معها جانب القول الأول المؤيد بعموم قولَه تعالى

﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾(النساء:٤٣) وبهديه ﷺ في التيمم، فإنه لم ينقل عنه إنه التزم التيمم بالتراب فقط، بل كان يتيمم بالأرض التي كان يصلي عليها تراباً كانت أو سبخة أو رملاً .

قوله: وأرسلت إلى الخلق كافة .. أي: الإنس والجن، بهذا نطق القرآن وانعقد عليه الإجماع فمدعي خصوص رسالته بالعرب كافر بلا نزاع، وهل أرسل إلى الملائكة؟ حكى فخر الدين الرازي: الإجماع على أنه غير مرسل إليهم، وقال جماعة من الأشعرية: أرسل إليهم رسالة تشريف لا تكليف، ورجح التقي السبكي: أنه أرسل إليهم، وكذا رجحه البارزي وزاد عليه أنه أرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، واستدل بشهادة الضب له بالرسالة، وشهادة الحجر والشجر، وألف الحافظ السيوطي في الانتصار لهذا القول رسالة سماها " تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائك " واستدل فيها بعشرة أدلة أقواها كما قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾(الأنبياء:٢٦) يعني الملائكة إلى أن قال ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُم ﴾ - أي: الملائكة - ﴿ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾(الأنبياء:٢٩) قال: فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي ﷺ في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾(الأنعام:١٩) فثبت بذلك إرساله إليهم، أهـ[١].

وأنظر بقية أدلته في الرسالة المذكورة فهي مطبوعة ضمن كتابه الحاوي في الفتاوى.

قوله: وختم بي النبيون، فهو خاتم الأنبياء .. أي: أخرهم، لا نبي معه في عصره ولا بعد عصره، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة .

فالقادينية الذين يزعمون نبوة غلام أحمد القادياني، كفار مرتدون بإجماع المسلمين، ولا تصح مناكحتهم، ولا تؤكل ذبيحتهم، وهم دسيسة استعمارية خدموا مصالح الإنجليز في الهند، وكان زعيمهم القادياني يصرح على رؤوس الأشهاد بحبه لإنجلترا، وولائه لها ويحض أتباعه على خدمتها ويحمد الله على أنه وجد في بلد تحت رايتها، إلى غير هذا من أقواله السخيفة المدونة في كتبهم .

---

(١) وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ - في التبكير إلى الجمعة - { فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر } فحضورهم لاستماع الخطبة دليل على أنهم مكلفون بذلك، وصح في أحاديث: أنهم يصلون معنا صلاة الجماعة، وإذا قال الإمام ﴿ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ قالوا: ﴿ آمين ﴾ وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع ﷺ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ قال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال {من أفضل المسلمين} أو كلمة نحوها، قال وكذلك من شهد بدر من الملائكة، فهذا يدل على أنهم مكلفون بشريعتنا .

ومثلهم فى الكفر والارتداد وخدمة مصالح الاستعمار: فرقة البهائية الذين يزعمون أن الإسلام نسخ بدينهم، وينكرون البعث والنشور والحشر والجنة والنار، والصلاة والصيام ويجيزون إعارة النساء بعضهم لبعض، ويؤلهون زعيمهم ويحجون إلى عكا[1]، يطوفون بقبر إلههم عباس البهاء، وهى قبلتهم فى صلاتهم، وهى صلاة خاصة تخالف صلاة المسلمين، إلى غير ذلك[2] من القبائح، وقد غروا كثيراً من الناس بمصر فدخلوا فى ديانتهم، ولهم بالمحلة الكبرى شعبة نشيطة، قاتلهم الله ولعنهم إلى يوم الدين .

****

١٩ ـ حديث: أعطيت جوامع الكلم

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { نُصِرتُ بالرُّعْبِ وأُعطِيتُ جوامعَ الكِلم وبَينما أنا نائمَ أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فَوضِعَتُ فى يَدى } قال أبو هريرة فذهب رسول الله ﷺ وانتم { تَنتَثِلُونَهَا } رواه البخارى .

قولـه: وأعطيت جوامع الكلم .. تقدم شرحه، وقال الهروى: يعنى به القرآن، جمع الله تعالى فى الألفاظ اليسيرة منه المعانى الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ، كثير المعانى .

قولـه: وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى، قال النووى: هذا من أعلام النبوة، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته، ووقع كما أخبر ﷺ ولله الحمد والمنة .. أهـ .

قولـه: وأنتم تنتثلونها .. أى: تستخرجون ما فيها، يعنى خزائن الأرض، وما فتح على المسلمين من الدنيا بسبب الفتوحات الإسلامية .

تنبيه: ذكر فى هذا الحديث والذى قبله سبعة خصال من خصوصياته، وبقيت خصال أخرى منها: إعطائه الشفاعة، رواه الشيخان من حديث جابر. والمراد بها الشفاعة العظمى، ومنها: تسميته بأحمد، وجعلت أمته خير الأمم، رواه أحمد من حديث على عليه السلام، ومنها: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ـ يعنى فى الصلاة ـ رواها مسلم من حديث حذيفة، ومنها: إعطاؤه الآيات من أخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، رواه النسائى

(١) وحديث (طوبى لمن رأى عكا) مكذوب باطل .

(٢) والجهاد فى دينهم منسوخ، فلا يجوز عندهم جهاد الكفار والمستعمرين، بل يجب أقناعهم بالدخول فى دين البهائية، فإن أقتنعوا به ودخلوا فيه، تركوا البلاد لأهلها ورحلوا عنها بلا مقاومة، وهذا كلام سخيف .

وأيسر حديثه عن حذيفة أيضاً. ومنها: غفران ما تقدم من ذنبه[1] وما تأخر وإعطائه الكوثر. وكونه صاحب لواء الحمد يوم القيامة، رواها البزار عن أبي هريرة، ومنها: إسلام شيطانه. رواها البزار عن ابن عباس: فهذه ست عشره خصلة.

قال الحافظ فى " الفتح ": ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع، وقد ذكر أبو سعيد النيسابورى فى كتاب " شرف المصطفى ": أن الذى اختص به نبينا ﷺ ستون خصلة. أهـ

قال الحافظ السيوطى فى " الخصائص الكبرى ": ولم أقف على من عدها. وقد تتبعت الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه وقد رأيتها أربعة أقسام:

١ - قسم اختص به فى ذاته فى الدنيا ٢ - قسم اختص به فى ذاته فى الآخرة

٣ - قسم أختص به فى أمته فى الدنيا ٤ - قسم اختص به فى أمته فى الآخرة

ثم أوردها مفصلة على الأبواب فليراجعها من أراد، والله ولى التوفيق والسداد.

****

٢٠ - حديث: سموا باسمى

عن أبى هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ { أنا أبو القاسم الله يعطى وأنا أُقسم } رواه الحاكم وصححه وسلمه الذهبى. وفى صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ { تسمَّوا باسمى ولا تَكنَّوا بكُنيتى فإنى أنا أبو القاسم أقسِمُ بينكُم } وفى صحيح مسلم أيضاً عن جابر قال: ولد لرجل منا غلامٌ فسماه محمداً، فقلنا: لا نكنيك برسول الله ﷺ حتى تستأمره، قال: فأتاه

---

(١) قد يشكل عد هذه من خصائصه ﷺ لأن الأنبياء جميعهم مغفور لهم. بل هم معصومون. وما نسب إليهم من ذنوب، فهو على سبيل الكناية، أو التعريض، أو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. ويجاب على هذا الإشكال بأن هذه الخصلة عدت من خصائصه، باعتبار ظهور ثمراتها فى الآخرة، ذلك أن الأنبياء يعتريهم من هول الموقف وفزعه، ما ينسيهم حالهم ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾(المائدة: ١٠٩) ويقول كبراؤهم حين تطلب منهم الشفاعة: إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسى. نفسى. لأن كل واحد منهم لا يأمن أن يؤاخذ مما عد عليه ذنباً، أما نبينا ﷺ فيكون فى ذلك الموقف قوى القلب، رابط الجأش. لا يلحقه فزع، ولا يغشاه هول، تطلب منه الشفاعة فيقول { أنا لها. أنا لها } ولا يعتذر كما أعتذر غيره. ويستشهد به الرسل على تصديقهم فى إبلاغ قومهم. فيصدقهم ويؤيدهم. ويراجع ربه فى أمته، مرة بعد مرة، حتى يقول له مالك خازن النار: ما تركت لغضب ربك من أمتك من نقمة. وما ذاك إلا لأنه عرف من قول الله ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾(الفتح: ٢) أنه لا يعاتبه يوم القيامة ولا يؤاخذه. فهذه الخصلة مما اختص بها فى ذاته فى الآخرة كما نبين

فأخبره فقال النبى ﷺ { سَمُّوا بإسمى ولا تكنُّوا بكُنيتى فإنما بُعثتُ قاسماً أقْسِمُ بينكم }[١] فهذه الروايات الصحيحة تبين أنه ﷺ يقسم بين أمته ما يرزقهم الله من معارف وعلوم وأموال وغيرها، وليس قسمه ﷺ خاصاً بمال الفىء والغنائم، بل هو عام كما ذكرنا، والله أعلم .

قولـه: تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى، قال النووى: اختلف العلماء فى هذه المسألة على مذاهب كثيرة جمعها القاضى وغيره:

إحداهما : مذهب الشافعى وأهل الظاهر: أنه لا يحل التكنى بأبى القاسم لأحد أصلاً سواء كان اسمه محمد أو أحمد، أم لم يكن لظاهر هذا الحديث .

والثانى : أن هذا النهى منسوخ، فإن هذا الحكم كان فى أول الأمر، لهذا المعنى المذكور فى الحديث، وهو أن رجلاً نادى بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله إنى لم أعنك، إنما دعوت فلاناً فقال { تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى } ثم نسخ، قالوا: فيباح اليوم التكنى بأبى القاسم لكل واحد سواء مَن أسمه محمد وأحمد وغيره، وهذا مذهب مالك .

قال القاضى : وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار، وجمهور العلماء، قالوا: وقد اشتهر أن جماعة تكنوا بأبى القاسم فى العصر الأول، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعل ذلك وعدم الإنكار .

الثالث : مذهب ابن جرير: أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهى للتنزيه والأدب لا للتحريم.

الرابع: أن النهى عن التكنى بأبى القاسم مختص بمن اسمه محمد أو أحمد. ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الإسمين، وهذا قول جماعة من السلف وجاء فيه حديث مرفوع عن جابر .

الخامس: أنه ينهى عن التكنى بأبى القاسم مطلقاً وينهى عن التسمية بالقاسم، لئلا يكنى أبوه بأبى القاسم، وقد غيرّ مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك حين بلغه هذا الحديث، فسماه عبد الملك، وكان أسمه أولاً القاسم، وفعله بعض الأنصار أيضاً .

السادس : أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقاً سواء له كنية أم لا، وجاء فيه حديث عن النبى ﷺ { تسمون أولادكم بمحمد ثم تلعنونهم } وكتب عمر إلى الكوفة لا تسموا أحد

---

(١) وروى أحمد وأبو داود عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال { ما أوتيكم من شىء ولا أمنعكموه إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرت } .

باسم نبى، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم محمد حتى ذكر له جماعة أن النبى ﷺ أذن لهم فى ذلك وسماهم به فتركهم .

قال القاضى: والأشبه أن فعل عمر هذا إعظام لاسم النبى ﷺ لئلا ينتهك الاسم كما سبق فى الحديث { تسمونهم محمداً ثم تلعنونهم } وقيل سبب نهى عمر أنه سمع رجلاً يقول: لمحمد بن زيد بن الخطاب: فعل الله بك يا محمد، فدعاه عمر فقال: أرى رسول الله ﷺ يُسب بك، والله لا تدعى محمداً ما بقيت، وسماه عبد الرحمن أهـ .

وحديث { تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم } رواه البزار وأبو يعلى وابن عدى والحاكم من حديث أنس، وهذا الحديث معدود فى فضائل التسمية باسمه ﷺ، مع دلالته على احترام الاسم الشريف وتوقيره .

وقال ابن سعد فى الطبقات: انا مطرف بن عبد الله اليسارى حدثنا محمد بن عثمان العمرى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ { ما ضرّ أحدكم أن يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة } وهذا مرسل .

وأخرج ابن أبى عاصم من طريق ابن أبى فديك عن جهم ابن عثمان عن ابن جشيب عن أبيه عن النبى ﷺ قال { من تسمى باسمى يرجو بركتى غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة } وجهم جهله أبو حاتم، وضعفه الأزدى .

وروى ابن القاسم فى سماعه، وابن وهب فى جامعه عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه أسم محمد إلا نما ورزقوا، ورزق جيرانهم .

وللحافظ أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادى جزء مطبوع فى فضل التسمية بمحمد وأحمد، وفى عزمى أن أعيد طبعه مع التعليق عليه بما يتم فوائده ويكمل مقصده مع بيان علل الأحاديث ونقد أسانيدها، يسر الله ذلك وأعان عليه .

قولَه: يقسم بين أمته ما يرزقهم الله من معارف الخ يؤيد هذا العموم ويؤكده أمران:

الأول: قولَه إنما بعثت قاسماً، وهو إنما بعث يقسم ما أوتى من الهدى والنور والعلم والعرفان، فأما قسم الفىء والمغانم فهو أمر ثانوى، إنما حصل بعد فرض الجهاد، والأمر بقتال المشركين بعد الهجرة .

الثانى: أنه ﷺ نهى عن غيره أن يكتنى بأبى القاسم وعلل النهى بأنه يقسم ولو كان المراد قسم الفىء والمغانم، لم يكن لهذا النهى والتعليل معنى، لأن كل إمام وخليفة

يقسم المغانم بين المجاهدين، كما كان يفعل عمر[١] وغيره من الخلفاء .

ذلك هو المقرر فى الشرع، فلولا أنه ﷺ اختص فى القسم بشىء لم يشركه فيه غيره، لم يكن للنهى معنى كما ذكرنا، ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم، فاختص زيد بنى ثابت بالفرائض، ومعاذ بعلم الحلال والحرام، وأبياً وابن مسعود بعلم القرآن، وحذيفة بعلم أصول المنافقين وكشف أسرارهم، وأبا هريرة بجرابين من العلم بث أحدهما ولم يبث الآخر مخافة القتل كما فى صحيح البخارى، وعلياً بعلم القضاء وعلوم أخرى (وسماه باب مدينة العلم) وهكذا كل صحابى له من رسول الله ﷺ باب من العلم أو أبواب، على قدر استعداده[٢]، ثم هو ﷺ بعد وفاته حى فى قبره تعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ويشفع كما سيأتى فى الحديث السادس والعشرون، والموفقون من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه، ويرون نوره سارياً فى الوجود، ويرون كل خير واصلاً إليهم عن طريقه، لا يرتابون فى ذلك لأنهم رأوه عياناً، حققنا الله به حتى نزاد معرفة لقدر هذا النبى الكريم والرسول العظيم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم .

****

٢١ ـ حديث: محمد ﷺ سيد ولد آدم

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { أنَا سَيدُ ولَدِ آدمَ يومَ القيامةِ وأولُ من يَنْشقُّ عنه القبرُ وأولُ شافعٍ وأولُ مُشَفَّعٍ } رواه مسلم فى صحيحه .

قال العلماء: قولَه ﷺ { يوم القيامة } مع أنه سيدهم فى الدنيا أيضاً، لأن فى يوم

---

(١) قال أبو عبيد فى الأموال: أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا موسى بن على عن أبيه عن عمر، خطبهم بالجابية ـ مكان بالشام ـ فقال: من أراد القرآن فليأت أبياً، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيداً، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى، فإن الله جعلنى خازناً وقاسماً .

(٢) قال العلامة الذائق المحقق أبو النجا محمد الفوى فى شرحه على " سطور الأعلام فى مبادئ الإيمان والإسلام " لولى الدين أبى زرعة العراقى ما نصه: اعلم أن الله أبرز عالمين: عالما اختراعيا، وعالما ابداعيا، أشار إليهما بقوله تعالى ﴿ ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأمْرُ ﴾(الأعراف: ٥٤) وقوله ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾(الأنعام: ٧٣) فعالم الغيب هو عالم الملكوت، وعالم الملكوت هو عالم الاختراع، وهو عالم الأمر وهو العالم العلوى، وهو عالم الفتق، وعالم الشهادة هو عالم الملك، وعالم الخلق .. وعالم الإبداع وهو العالم السفلى، وهو عالم الرتق، ولكل عالم من هذه العوالم سر أودعه الله فيه لشهود العظمة وظهور القدرة، وقد أستودع الله مصطفاه ﷺ تلك الأسرار الإلهية وجعله أميناً عليها، يفيض على من أراد الله من أهله لاستفاضتها، وما أهل له، ويخاطب الناس على قدر عقولهم . أهـ . بلفظه من نسخه عليها خط الفيض والشوبرى .

القيامة تظهر سيادته لكل الناس لا ينازعه فيها منازع بخلاف الدنيا، فقد نازعه في ذلك ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا مثل قوله تعالى ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (غافر:١٦) مع أن الملك له ﷺ قبل ذلك، وإنما قيد بذلك اليوم لخضوع الكل وفقد المنازع .

قولـه: { أنـا سيد ولد آدم } السيد هو الذى يفزع إليه الناس فى النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم، ويتحمل عنهم مكارههم، ويدفعها عنهم، وهكذا كان ﷺ فى حياته، فكان يصل الرحم ويحمل الكلّ ويكسب المعدوم ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق كما قالت خديجة ﵂ وكان إذا مات مسلم وعليه دين قضى عنه دينه، وإذا أتاه ملهوف أغاثه، وإذا قحط الناس أتوه مستشفعين مستغيثين، كما قال عمه أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال آخر:

أتيناك والعذراء يَدمَى لبانها وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

وأما فى الآخرة: فيفزع إليه أهل الموقف ليشفع إلى الله فى إراحتهم من كرب ذلك اليوم وطوله .. وهو له، فيقول: { أنا لها .. أنا لها } فيذهب إلى العرش فيستأذن فيؤذن له، فإذا رأى الله سجد وحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد، فيدعه الله ساجداً حامداً ما شاء أن يدعه ثم يناديه ﴿ ارفع رأسك، وقل تسمع وسل تعط، واشفع تشفع ﴾ فيكون أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته، ولهذا قال { أول شافع وأول مشفع } [بفتح الفاء المشددة] .

وقولـه: وأول من ينشق عنه القبر، وذلك عند قيام الناس للموقف حين ينفخ فى الصور نفخة ثانية، كما قال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ [1] ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر:٦٨) وإنما أخبر بأنه سيد ولد آدم ليمتثل قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى:١١) وليبين لأمته ذلك حتى يعتقدوه ويعملوا بمقتضاه فلا ينادونه أو يذكرونه باسمه المجرد كما يفعل الوهابية الجفاة وأمثالهم من مقلدة المستشرقين أعداء الله .

---

(١) اختلف فى المستثنى من هو؟ فقيل هم الملائكة، وقيل هم حملة العرش، وقيل: جبريل، وقيل ميكائيل، وقيل ملك الموت، وقيل: الجنة والحور العين، وكل هذه أقوال ضعيفة أو باطلة، الصحيح أن المستثنى هم الأنبياء والشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإذا نفخ فى الصور لا يصعقون، تكريماً لهم وتبجيلا لقدرهم .

٢٢ ـ حديث: أن رسول الله أول الناس

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { أنا أولُ الناس خرُوجاً إذا بُعثُوا وأنا خطيبُهم إذا وفَدُوا وأنا مُبشّرهمُ إذا أيسُوا لواءُ الحمد يومَئذٍ بيدى وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربّى ولا فَخْرَ } رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب، ورواه أبو النعيم فى الدلائل ولفظه { أنا أولُهم خُروجاً إذا بُعثُوا وقائِدُهم إذا وَفدُوا وخَطيبُهم إذا أنصتُوا وأنا شافِعُهمُ إذا حُبِسُوا وأنا مُبَشّرهُم إذا أبلسُوا لِواءُ الكرامةِ ومفاتيحُ الجنةِ ولواءُ الحمد يومَئذٍ بيدى وأنا أكرَمُ وَلدِ آدمَ على رَبّى يطوفُ علىّ ألفُ خادمٍ كأنهنّ بَيضٌ مكْنونٌ أو لُؤلؤٌ منثورٌ } .

قولَه: { أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا } أى: أثيروا من قبورهم، وهذا معنى قولَه فى الحديث السابق { وأول من ينشق عنه القبر } .

قولَه: { وأنا خطيبهم إذا وفدوا } أى: على ربهم، لأن العادة فى وفود القوم على الملك: أن يتكلم أمامه زعيم القوم ورئيسهم .

قولَه: { وأنا مبشرهم } أى: بقبول شفاعتى عند الله، إذا أيسوا من وجود شافع بعد ترددهم على الأنبياء وقول كل نبى: نفسى .. نفسى .

وقولَه: { لواء الحمد } أى: راية الحمد يومئذ ـ يوم القيامة ـ بيدى، وذلك جرياً على العادة عند العرب أن اللواء إنما يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه، قال الحافظ السيوطى: وهذا لواء معنوى، والمراد أنه يشهر بالحمد فى ذلك اليوم أهـ . أى: لأنه يحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد قبله، ولأن أهل الموقف كلهم: آدم ومن دونه يحمدون موقفه فى الشفاعة العظمى التى اختصه بها الله، ولهذا سمى أيضاً: صاحب المقام المحمود

قولَه: { وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر } أى: أكثرهم كرامة عنده، وأوفرهم منزلة لديه، ولا فخر: أى لا أقول هذا فخراً ولكن تحدثاً بالنعمة وقياماً بواجب التبليغ وإعلاماً للأمة ليزدادوا حباً لى وأتباعاً لسنتى .

قولَه: فى الرواية الثانية { وأنا خطيبهم إذا أنصتوا } أى: من هيبة الله وجلال الموقف ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾(طه:١٠٨) ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾(النبأ:٣٨) .

قولَه: { إذا حبسوا } أى: فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وهم وقوف شاخصة أبصارهم ينتظرون ما يفعل بهم وما يقال لهم .

قولَه: { إذا أبلسوا } أى: أصيبوا بالإبلاس وهو الإنكسار والحزن من غم ذلك اليوم

قولَـه: { لـواء الكـرامة } هو ما يعطى فى ذلك اليوم من المزايا والمكرمات، ومفاتيح الجنة كناية عن عدم دخول أحد لها قبله .

قولَـه: { يطـوف علـىَّ ألـف خـادم } .. الخ، هذا بيان لبعض ما يعطاه فى الجنة، والبـيـض [بفـتح البـاء] بـيض الـنعام، ومعـنى مكـنون: مستور بريشه لا يصل إليها غبار، ولونـه أحسـن ألـوان النسـاء، واللؤلؤ: معروف، ومعنى منثور: منتثر غير مجموع فى نظام، وذلك أنهن بطوافهن عليه وقيامهن بخدمته أشبهن لؤلؤاً متفرقاً غير مجتمع، والله أعلم

****

٢٣ ـ حديث: مثلى ومثل الأنبياء

عـن جابـر عـن النـبى ﷺ قـال { مَثَـلى ومَـثَلُ الأنبـياءِ كمثَل رجُل بنَى داراً فأتمها وأكْمَـلهاَ إلا مَوْضـعَ لَبنة فَجعل الناسُ يَدخُلُونَها ويتعَجَّبونَ منهَا ويقولُون لولاَ مُوضعُ اللَّبِنة، قـال رسـول الله ﷺ فأنَـا مَوضـعُ اللَّبـنة جئـتُ فخَتَمتُ الأنِبيَاءَ } رواه مسلم فى صحيحه، ورواه أيضاً من حديث أبى هريرة وأبى سعيد، ورواه الترمذى من حديث أبى بن كعب وزاد فـى آخـره عـن النـبى ﷺ قـال { إذا كان يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النَّبيِّين وخَطيَبهُم وصَاحِبَ شَفَاعَتِهم غَيرُ فَخرٍ } ثم قال: حديث حسن .

قولَـه: { مثـلى ومـثل الأنبـياء } المـراد مـن ضـرب المثل تقريب المراد للعقل، وتصويره بصـورة المحسـوس، فـإن الأمـثال تصـور المعـانى بصـورة الأشـخاص، لأنهـا أثبـت فـى الذهـن لاسـتعانته فـيها بـالحواس، ومـن ثَـم كـان الغـرض مـن التمثـيل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشـاهد، قـال الزمخشـرى: التمثيل إنما يصار إليه للكشف المعانى، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المثل لـه عظيم، كان المثل به مثله، وإذا كان حقيراً كان المثل به كذلك .. أهـ .

وقـال الأصـفهانى: ضـرب العـرب الأمـثال واستحضـار العـلماء للـنظائر، شـأن ليس بـالخفى فـى إبـراز خفيات الدقـائق، ورفـع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل فى صورة المتحقق، والمتوهم فى معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد . أهـ .

فالمـراد مـن ضـرب المثل فى هذا الحديث بيان حاله ﷺ مع حال الأنبياء قبله، وذلك أن الأنبـياء السـابقين بعثوا لقومهم خاصة، فكانت شرائعهم محدودة تناسب حالهم وزمنهم، فمثلهم

فى ذلك مثل دار بنيت وتم بناؤها إلا أنه ينقصها موضع لبنة، حتى جاء النبى ﷺ خاتماً للنبوة، وبعث بشريعته تامة عامة لا يعتريها نسخ ولا تبديل، فكان مكانه من تلك الدار موضع اللبنة الناقصة، فبه تم بناؤها وحسن مظهرها، واستوفت أوجه الكمال، ولهذا لم يبق الناس بعده فى حاجة إلى نبى أو رسول، ويستفاد من الحديث جواز ضرب المثل فى العلم وغيره .

وقوله: فى الرواية الثانية { كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر } [بفتح الفاء وكسر الخاء] أى: غير مفتخر بذلك، على ما سبق بيانه، وللدارمى بإسناد رجاله ثقات عن جابر { أنا قائد المرسلين ولا فخر، وإنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر } وفى هذه الروايات دليل تفضيله على الأنبياء والملائكة، لأن هذه الفضائل التى أعطيها لم تعط لنبى ولا ملك، ﷺ وزاده تشريفاً وتعظيماً وتكريما .

****

٢٤ ـ حديث: حوضى مسيرة شهر

عن عبد الله بن عمر بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ { حَوْضِى مَسيرةُ شَهر وزَوَايـاهُ سَواءٌ ـ أى: طوله كعرضه ـ ومَاؤه أبيضُ من الوَرِق وريحُه أطيبُ مِنْ المسْكِ وكِيزانُهُ كنُجوم السَّماءِ فَمن شَرب منْهُ فَلاَ يظْمأ بعدَه أبَداً }(١)

قوله: { حوضى مسيرة شهر } أى: مسيرته شهر طولاً وعرضاً وهذا كناية عن عظمة وسعة .

قولَه: { ماؤه أبيض من الورق } [بكسر الراء] أى: الفضة، وفى رواية: اللبن

قولَـه: { كيزانه كنجوم السماء }، وفى رواية أخرى { والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها }

قولَـه: { فمن شرب منه لا يظمأ بعده أبداً } أى: ظمأ ألم، ولكن يظمأ ظمأ التلذذ واشتهاء، والظمأ: العطش .

قال القاضى عياض: ظاهر هذا الحديث أن الشرب من الحوض يكن بعد الحساب والنجاة من النار، فهذا هو الذى لا يظمأ بعده وقيل: لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار، ويحتمل ان من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ، بل يكون عذابه بغير ذلك .. أهـ .

---

(١) رواه البخارى ومسلم، وأحاديث الحوض كثيرة بالغة مبلغ التواتر .

تنبيه: أحاديث الحوض متواترة والإيمان به واجب كما نص عليه القاضي عياض والنووي وغيرهما، وجمع الحافظ البيهقي في كتاب (البعث والنشور) طرق حديث الحوض فأفاد، وأوصل الحافظ السيوطي عدد من رواه من الصحابة إلى خمسة وخمسين صحابياً، ذكر أسمائهم وأحداً واحداً، مع عزو أحاديثهم وتخريجها في كتاب (الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة)، وأنكره المعتزلة، كما أنكروا الشفاعة والميزان[١] لجهلهم بالسنة النبوية .. والله أعلم .

****

٢٥ ـ حديث: ما منكم من أحد

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { مَا مِنكُم مِن أحَدٍ إلاّ وقَد وُكِّل بِه قرينُه مِن الجِنّ وقَرِينُه من الملائِكة } قالوا: وإيَّاك يا رسولَ الله؟ قال { وإيَّايَ إلاَّ أنّ اللهَ أعانَني عليه فَأسْلَم فَلاَ يَأمُرني إلاَّ بخيْر } رواه مسلم في صحيحه .

قوله: { فأسلم } قال النووي: برفع الميم وفتحها، روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه: فأسلمُ أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما .

فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع . ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار لقوله ﷺ { فلا يأمرني إلا بخير } واختلفوا في رواية الفتح، قيل أسلم بمعنى: استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم: فاستسلم، وقيل معناه: صار مسلماً مؤمناً، وهذا هو الظاهر .

قال القاضي: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه .. اهـ .

قلت: الصحيح الراجح ما رجحه عياض والنووي: أنه أسلم من الإسلام[٢] لما رواه

(١) وقلدهم مبتدع أزهري، فأنكر الميزان في محاضرة له، كما قال في كلمة له نشرت بمجلة الرسالة: إن الشيطان قوة الشر الكامنة في النفس، وله غير هذا طامات ومصائب، أراد بها الشهرة والظهور على حساب العلم والدين، وكم له في الأزهريين من نظير .

(٢) روى الطحاوي في مشكل الآثار حديث ابن مسعود كما في صحيح مسلم، وروى من طريق مجاهد عن الشعبي عن جابر قال: قال لنا النبي ﷺ { لا تدخلوا على المغيبات ـ جمع مغيبة وهي المرأة التي غاب عنها زوجها بسفر أو بغيره ـ فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم } قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال {ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم }. وروى أيضاً عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة، وكان معي على فراشي، فوجدته ساجداً. وذكرت الحديث. قالت: فلما ==

البزار عن أبى هريرة مرفوعاً { فضلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطانى كافراً فأعاننى الله عليه حتى أسلم، ونسيت الأخرى } .

وللبيهقى فى الدلائل بإسناد ضعيف، عن ابن عمر مرفوعاً { فضلت على آدم بخصلتين كان شيطانى كافراً فأعاننى الله عليه حتى أسلم، وكان أزواجى عوناً لى، وكان شيطان آدم كافراً، وزوجه عوناً على خطيئته } وعلى هذا درج أصحاب الخصائص فعدوا من خصائصه ﷺ إسلام قرينه، وفى الحديث الإخبار بوجود القرين مع كل واحد لنحترز من سوسته وفتنته، والله المستعان على ذلك وبالله التوفيق .

****

٢٦ ـ حديث: حياتى خيراً لكم

عن ابن مسعود أيضاً عن النبى ﷺ قال { حَياتى خيرٌ لكُم تُحْدِثُون ويُحْدَث لكُم ووَفَاتِى خير لكُم تُعْرَضُ علىَّ أعمالُكمُ فَمَا رأيتُ مِن خَير حَمِدتُ اللهَ ومَا رأيتُ من شرّ استغْفَرتُ الله لكُم }[1]

قولَه: { حياتى خير لكم } أى: فيها خيراً لكم، تحدثون ـ بضم التاء وسكون الحاء وكسر الدال ـ أى أمور وأشياء مما لم يكن فيها حكم، ويحدث لكم ـ بضم الياء وفتح

== انصرف قال { يا عائشة أخدعك شيطانك؟ } فقالت: أما لك شيطان؟ قال { ما من آدمى إلا وله شيطان} فقلت: وأنت يا رسول الله؟ قال { وأنا ولكنى دعوت الله فأعاننى عليه فأسلم } . قال الطحاوى: فوقفنا بهذا على أن رسول الله ﷺ كان فى هذا المعنى كسائر الناس، وأن الله أعانه بإسلامه، فصار فى السلامة منه بخلاف غيره من الناس، ثم قال الطحاوى: فإن قال قائل: قد روى فى هذا الباب شىء يجب الوقوف عليه لرفع التضاد عما خص به من إسلام شيطانه، ثم أسند من حديث صفوان الأنصارى: أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال { بسم الله وضعت جنبى اللهم أغفر ذنبى وأخسأ شيطانى وفك رهانى وأثقل ميزانى واجعلنى فى الندى الأعلى} قيل له: هذا عندنا ـ والله أعلم ـ كان من رسول الله ﷺ قبل إسلام شيطانه، فلما أسلم استحال أن يدعوا ﷺ فيه بذلك، مع إسلامه الذى هو عليه .. أهـ . وهو جمع جيد .. والله أعلم .

(١) رواه البزار بإسناد جوده الحافظ العراقى، وصححه الحافظ الهيثمى والجلال السيوطى والشهاب القسطلانى، ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضى فى كتاب الصلاة على النبى ﷺ من حديث بكر بن عبد الله المزنى مرسلاً بإسنادين صحح إحداهما الحافظ بن عبد الهادى المقدسى، وله مع هذا طرق كثيرة، وعرض الأعمال عام لجميع المسلمين إلا طائفة من العصاة والمبتدعين سبق القضاء بنفوذ الوعيد فيهم لا تعرض أعمالهم عليه، فإذا دعاهم يوم القيامة إلى حوضه، قيل له: لا تدرى ما أحدثوا من بعدك، فيقول { سحقاً لمن بدل بعدى .. سحقاً لمن بدل بعدى } كما جاء فى الصحيحين من طرق. وبهذا يتفق الحديثان، ولا يبقى بينهما تعارض البتة، أما ترجيح إحداهما على الأخر مع إمكان الجمع فغير جائز لأنه إلغاء لأحد الدليلين لغير مقتضى، وهو حرام كما نص عليه العلماء .

الدال المخففة ـ أى: يحدث الله لكم من الأحكام بقدر ما حدث منكم مما يقتضى ذلك .

قولـه: { ووفاتى خير لكم } أى: فيه خير لكم ثم بين ذلك الخير بقوله { تعرض على أعمـالكم } وهذا لفظ عام يشمل عرض الأعمال من جميع الأمة إلا من كان مرتداً أو كافراً، عياذاً بـالله تعـالى، وهـذا يسـتلزم حـياته فى قبره، لأن العرض يقتضى ذلك عقلاً، فما رأيت من خير حمـدت الله علـيه وسررت به، وما رأيت من شراً استغفرت الله لكم، أى: طلبت المغفرة لكم من الله، وفـيها تحـريض على ترك المعاصى بطريق لطيف، لأن من علم أن عمله يعرض على نبيه، اجـتهد أن يسـره وألا يحوجـه إلى الاسـتغفار مـن عملـه، وقـد ذكـرت هـذا الحديـث بإسناده، وأوردت بعض الطرق المؤيدة لـه فى كتاب [الرد المحكم المتين] فليراجع[1].

****

٢٧ ـ حديث: إلا سببى ونسبى

عـن جابـر أنـه سمـع عمـر بـن الخطـاب ﷺ يقـول للـناس حين تزوج ابنةَ علىّ ﷺ: ألا تهنونى سمعت رسول الله ﷺ يقول { يَنْقَطعُ يومَ القيامَةِ كلُّ سَببٍ ونَسَبٍ إلاَّ سَبَبِى ونسَبِى}[2].

قولـه: { يـنقطع يـوم القـيامة كل سبب ونسب } وذلك لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾(المؤمنون: ١٠١) .

قولَه: { إلا نسبى وسببى } أى: فإنه موصول غير مفصول، وهذا من خصائصه ﷺ كمـا ذكـره الحـافظ السـيوطى فى [الخصائص الكبرى] ولهذا حرص عمر بن الخطاب ﷺ علـى زواج ابـنة علـى ﷺ واسمها أم كلثوم، ليكون لـه من رسول الله ﷺ سبب صهارة ينال بهـا القـرب مـنه يـوم القيامة، وفى هذا دليل على فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول فى الدنـيا والآخـرة، وإن فى الانتساب إليهم ومصاهرتهم شرفاً وفضلاً، وليس بين هذا الحديث

---

(١) ثـم أفـردته بجـزء سميتـه [نهاية الأمل فى صحة وشرح حديث عرض الأعمال] وهو مطبوع، ولما أطلـع علـيه شـقيقنا الحـافظ أبـو الفيـض ـ رحمـه الله ـ كتـب إلى يقـول: قلمك فيه مثل قلم الحافظ الذهبى . والكتاب حقوق طبعه لمكتبة القاهرة .

(٢) رواه الطـبرانى والدراقطـنى ، وقال الحافظ الهيثمى: رجاله رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهـو ثقـة، قلت: وصححه أيضاً التاج السبكى فى أول طبقات الشافعية الكبرى، وللحديث مع هذا طـرق عـن عمـر وابـن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وقد أوردت هـذه الطرق فى كتابى [الرد المحكم المتين] وجمعت بينهما وبين حديث الصحيحين { يا فاطمة أعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شئ }

وحديث فاطمة[1] { أعملي ....الخ } ، تعارض أصلاً كما بينته في [الرد المحكم المتين] من ثلاث أوجه ، وبينت فساد ما يزعمه الوهابية الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف ، فليراجعه من أراد ، والله ولي التوفيق والسداد .

****

٢٨ ـ حديث: إنزال الملائكة تقاتل معه

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: (رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ) يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام، رواه البخاري ومسلم .

قولَه: عليهما ثيابٍ بيض [بكسر الباء ـ وفي رواية أخرى: ثياب بياض] قال

---

(١) لفظ الحديث { يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت أنقذي نفسك من النار فإني لا أغني عنك من الله شيئاً } وهذا طرف من حديث طويل، ثبت في الصحيحين وغيرهما، وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة:

الأول: أن هذا الحديث أخبر الحقيقة، فإنه ﷺ لا يغني عن أحد من الله شيئاً ولا يملك لأهله ولا لغيرهم نفعاً ولا خيراً، وهذا لا ينافي أن الله يملكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة الخاصة والعامة، وقد فعل فأعطاه عدة شفاعات، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما، فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه ﷻ، وقد ملكه الله الشفاعة وغيرها من المكرمات. ذكر هذا المعنى: الحافظ المحب الطبري في ذخائر القصبى في مناقب ذوى القربى.

الثاني: أن هذا الحديث كان قبل أن يعلمه الله أنه ينفع يوم القيامة رحمه وأقاربه بالانتساب إليه دون غيره، ذكره السيد السمهودي في جواهر العقدين، ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(الشعراء: ٢١٤) وكان ذلك بمكة في أوائل بعث النبي ﷺ .

الثالث: أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشرك، وأنه لا يملك لهم من الله شيئاً إن أشركوا. أو استمر من كان منهم مشركاً على إشراكه، لأن المشرك لا حظ له في الشفاعة، ويؤيد هذا أمور:

١ـ أن أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين، كما يعلم سبب ورود الحديث .

٢ ـ أنه وجه الخطاب إلى جميع أقاربه مؤمنيهم ومشركيهم، فوجب أن يكون على وتيرة واحدة وهي التحذير من الشرك كما هو واضح.

٣ ـ ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب: أن النبي ﷺ قال له { أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله } فأفاد هذا الحديث أنه يملك نفعه ويحاج عنه إذا هو مات على التوحيد، وقد روى أحمد والحاكم والبيهقي من طريق عبد الله بن محمد عقيل عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر { ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة؟ بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض } فهذا الحديث ورد بالمدينة، وقد أنكر فيه النبي ﷺ على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم ن وقرر أن رحمهم موصولة في الدنيا والآخرة، وأنه بجانب هذا ينفع أمته أيضاً، حيث يكون فرطاً لهم على الحوض وهذا يؤيد ما قررناه، والحمد لله .

النووى: فى هذا الحديث بيان كرامة النبى ﷺ على الله تعالى، وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل[١]، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب، خلافاً لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح فى الرد عليه، وفيه فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد ابن أبى وقاص الذى رأى الملائكة .. أهـ .

ولقد رأى جماعة من الصحابة جبريل عليه السلام فى صورة حية منهم: ابن عباس وعائشة وأم سلمة، و كانت الملائكة تسلم على عمران ابن حصين حتى اكتوى، ثم لما زال أثر الكى عادت إلى السلام عليه كما بينته فى كتاب [الحجج البينات فى إثبات الكرمات] وبالله التوفيق .

****

٢٩ ـ حديث: آتى باب الجنة يوم القيامة

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ { آتى بابَ الجنَّةِ يَومَ القِيامة فأسْتَفْتِحُ فيَقُولُ الخازنُ: مَن أنتَ؟ فأقُولُ: محمدٌ، فيقولُ: بِكَ أُمِرْتُ إلاَّ أفتح لأحَدٍ قَبْلكَ }[٢]

قولـه: { فيقول بك } أى: بسببك، ولأجلك أمرت، أى: أمرنى الله ألا أفتح باب الجنة لأحد قبلك، لا من الأنبياء ولا من غيرهم، فهو أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، هذا من خصائصه ﷺ كما ذكره العلماء[٣] .

****

٣٠ ـ حديث: أن رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ أجْوَدَ الناس بالخير وكان أجْوُد ما يكونُ فى شَهر رَمَضَانَ، إنّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يلْقَاهُ فى كلّ سَنةٍ فى رمَضانَ حتّى يَنْسلِخَ، فَيَعْرِضُ عليه رسولُ الله ﷺ القُرآن فإذا لَقِيهُ جبريلُ كانَ رَسُولُ الله ﷺ أجْوَدَ بالخَير مِن الرِيح المُرْسَلَةِ[٤] وفى الصحيحين أيضاً عن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطُ فقال: لاَ .

---

(١) وأنهم متعبدون بشريعة النبى ﷺ، وهذا أحد الأدلة على أنه أرسل إلى الملائكة .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه .

(٣) وهذا الحديث: رواه مسلم فى كتاب الإيمان فى صحيحه، ورواه الإمام أحمد أيضاً، وهو أول حديث فى الجامع الصغير، والجامع الكبير للحافظ السيوطى .. والله أعلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

قولـه: أجـود مـا يكـون فـى شـهر رمضـان، روى برفع أجود ونصبه، قال النووى: والـرفع أصـح وأشهر، وفى هذا الحديث كما قال النووى فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ. واسـتحباب إكـثار الجـود فـى شـهر رمضـان، وزيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين. وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم، ومنها: استحباب ودراسة القرآن . أهـ .

وفـى زاد الميعاد لابن القيم ما نصه: كان رسول الله ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى ولا يستقله، ولا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه قليلاً كـان أو كـثيراً، وكـان عطائـه عطـاء من لا يخشى الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شـىء إليـه: وكـان سـروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الأخذ بما يأخذه، وكان أجود الـناس بـالخير، يمينـه كالـريح المرسـلة، وكـان إذا عـرض لـه محتاج آثره على نفسه تارة بطعامـه، وتـارة بلباسـه، وكـان يتـنوع فـى أصـناف عطائـه وصـدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصـدقة. وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشىء، ثم يعطى البائع الثمن، والسلعة جميعاً. كما فعل بجابر: وتارة كان يقترض الشىء فيرد أفضل منه ،اكثر وأكبر، ويشترى الشىء فيعطى أكـثر مـن ثمـنه، ويقـبل الهديـة، ويكافـئ عليها بأكثر منها، أو بأضعافها تلطفاً وتنوعاً فى ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صداقته وإحسانه بما يملكه، وبحالة وبقوله: فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها ويدعوا إليها بحاله .

وقولـه: فـإذا رآه البخـيل الشـحيح دعـاه حالـه إلى البذل والعطاء. وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى، وكان هديه ﷺ يدعوا إلى الإحسان والصـدقة والمعـروف، ولذلـك كـان ﷺ أشرح الخلق صدراً وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً. فإن للصـدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيباً فى شرح الصدور، وأضيف ذلك إلى ما خصه الله به من شـرح صدره للنبوة، والرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حساً وإخراج حظ الشيطان منه .. أهـ . وهو نفيس جداً .

قولـه: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا، معناه كما قال العلماء: إنه إذا كان عنده شـىء أعطـاه للسـائل، وإن لم يكن عنده سكت، أو وعد بالعطاء، ولا يقول: لا، لما فى هذه الكلمة من قطع طمع السائل وكسر خاطره، وما كان من خلقه ﷺ قطع رجاء من أمله، أو رده خائباً .

جـاشاه أن يحرم الراجى مكارمه ... أو يرجع الجار من غير محترم

وإذا كان الفرزدق يقول فى على زين العابدين عليه السلام:

ما قال: لا قط إلا فى تشهد لولا التشهد كانت لاؤه نعم

فما ظنك بالنبى ﷺ ؟ فإن قيل هذا ينافى قوله تعالى ﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾(التوبة:٩٢) حيث أثبتت الآية الكريمة ضد ما أفاده هذا الحديث، فالجواب: أنه لا منافاة بينهما لأن الآية لم تثبت له قول " لا " المجردة الدالة على عدم الإعطاء، وإنما أثبتت قول " لا " المقرونة بالفعل المضارع الدال على الحال، أى: لا أجد الآن ما أحملكم عليه، وارجو فى المستقبل، فهو فى معنى العدة كما لا يخفى .. والله أعلم .

****

٣١ ـ حديث: أكثروا من الصلاة

عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { أكثِرُوا مِنَ الصَّلاة علىَّ فى يوم الجُمعة فإنَّه يومٌ مشهُوْد تشْهَدُه الملائكةُ وإن أحداً لَن يُصَلىَ علىّ إلا عُرِضَتْ علىَّ صلاتُه حتَّى يفْرغَ منها } قال: قلتُ وبعد الموت؟ قال ﷺ { إنَّ الله حَرَّمَ علَى الأرض أن تأكُلَ أجْسَادَ الأنبياءِ }[١] .

ولأحمد وأبى داود وابن ماجة من حديث أوس ابن أوس قال: قال رسول الله ﷺ { مِنْ أفْضَل أيامِكُمْ يَومُ الجُمعِة فِيه خُلِقَ آدمُ وَفِيه قُبِضَ وَفِيه النَّفخةُ وفِيه الصَّعقةُ فأكْثِرُوا علىَّ من الصَّلاةِ فِيه فإنَّ صَلاتَكُم مَعْرُوضةٌ علىَّ } قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ ـ يعنى: بليت ـ فقال { أنَّ الله ﷻ حَرَّمَ علَى الأرضِ أن تَأكُلَ أجْسَادَ الأنبياءِ } صححه ابن حبان والحاكم .

قوله: { أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة } أى: يأتون أبواب المساجد ويكتبون الأول فالأول حتى إذا خرج الإمام طووا الصحف وقعدوا يستمعون الذكر[٢] .

قوله: { وإن أحداً علىّ لن يصلى علىّ إلا عرضت صلاته } من أول ما ينطق بها حتى يفرغ منها ـ بأن تبلغه الملائكة إليه فيدعوا للمصلين عليه ويستغفر لهم، كما جاء فى

---

(١) رواه ابن ماجة والطبرانى بإسناد جيد، ورواه ابن المقرى من طريق آخر، وزاده فى آخره من كلام النبى ﷺ { فنبى الله حى يرزق } .

(٢) أى: الخطبة، وهو يفسر ذكر الله فى آية الجمعة، فالسعى إلى خطبة الجمعة وأجب، ولا عبرة بمن قال خلاف ذلك. والحديث يفيد أن الملائكة متعبدون بحضور خطبة الجمعة .

حديث عمر عند ابن بشكوال، والحكمة فى تخصيص كثرة الصلاة عليه بيوم الجمعة أنه أفضل الأيام، كما صح فى الحديث وهو أفضل المخلوقات، فكانت بينهم مناسبة ظاهرة .

قولـه: { إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء } كناية عن عدم لحوق البلى لأجسادهم الشريفة، مهما تطاول عليهم الزمان .

قولـه: { فنبي الله حى يرزق } هذا مأخوذ من القرآن الكريم، فإن الله تعالى قال ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾(آل عمران: ١٦٩-١٧٠)، والأنبياء أولى بهذا من الشهداء إجماعاً، وفى الصحيح: أن النبى ﷺ مرّ ليلة الإسراء على موسى وهو قائم يصلى فى قبره، أخرجه مسلم عن أنس ولأبى يعلى بإسناد صحيح عن أنس مرفوعاً {الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون } وفى الباب أحاديث ذكر الحافظ البيهقى جملة منها فى جزء حياة الأنبياء، وهو مطبوع، بل بلغت فى الكثرة إلى حد التواتر كما نص عليه الحافظ السيوطى [فى مرقاة الصعود حاشية سنن أبى داود] وفى [إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء]، وأدرجها شيخ بعض شيوخنا العلامة المحدث أبو عبد الله السيد محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه [نظم المتناثر من الحديث المتواتر] وذكر القرطبى ووافقه ابن القيم: أن حياة الأنبياء فى قبورهم مقطوع بها، وذلك لتواتر أحاديثها كما بينا، ولانعقاد الإجماع عليها حكاه ابن حزم فى المحلى. والحافظ السخاوى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع، وأنظر كتابى [الرد المحكم المتين] فقد حررت فيه هذا البحث تحريراً وافياً .

قولـه: فى حديث أوس: { فيها خلق آدم } الخ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً { خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها } ولأحمد وابن ماجة بإسناد حسن عن أبى لبابة بن عبد المنذر مرفوعاً { أن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر وفيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدمَ وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبدُ شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة } ولابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة مرفوعاً { لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهى تفزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس } .

قولـه: { أرمت } - بفتح الهمزة والراء - أى: صرت رميماً، وإنما قالوا ذلك لعدم

علمهم بما خص الله الأنبياء بعد وفاتهم، فأخبرهم ﷺ أن الأنبياء لا يبلون، فهو ﷺ حى فى قبره الشريف تعرض عليه أعمال أمته ومنها صلاتهم عليه، وإذا سلم عليه أحد رد عليه السلام كما ثبت فى أحاديث أخرى، وروى البيهقى فى جزء حياة الأنبياء عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال { نعم وأرد عليهم } وروى أبو نعيم عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتنى ليالى الحرة، وما فى مسجد رسول الله ﷺ غيرى، وما يأتى وقت صلاة إلا سمعت الآذان من القبر، وللزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن سعيد نحوه.

قوله: صححه ابن حبان والحاكم. قلت: قال الحاكم بعد أن روا هذا الحديث صحيح على شرط البخارى، وسلمه الحافظ الذهبى .. والله أعلم.

****

تنبيهـــات

الأول: قال القاضى عياض: أعلم أن الصلاة على النبى ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب[1] وأجمعوا عليه .. أهـ، والواجب منها تكفى فيه مرة واحدة، وما زاد عليها فهو مندوب مرغب فيه لأنه من شعار الإسلام، وأما الصلاة عليه فى التشهد الأخير من الصلاة فذهب الشافعى إلى وجوبها وقال: تبطل الصلاة بتركها، ووافقه محمد بن المواز من أئمة المالكية، وذهب جمهور العلماء إلى أنها سنة لا تبطل الصلاة بتركها.

الثانى: تسن الصلاة على النبى ﷺ فى سائر الأزمان والأمكنة، لكن تتأكد فى حالات خاصة وردت بها السنة مثل يوم الجمعة كما ذكر فى حديث الترجمة، قال الحافظ ابن حجر: تتأكد الصلاة على النبى ﷺ فى مواضع ورد فيها أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جياد عقب:

١ - إجابة المؤذن. ٢ - وأول الدعاء. ٣ - وأوسطه.
٤ - وآخره وأوله آكد. ٥ - وآخر القنوت. ٦ - وفى أثناء تكبيرات العيد
٧ - وعند دخول المسجد. ٨ - والخروج منه. ٩ - وعند الاجتماع.
١٠- التفرق. ١١- وعند السفر. ١٢- والقدوم.

---

(١) قال بعض العارفين:

الله عظم قدر جاه محمداً ... وأنا له فضلاً لديه عظيماً
فى محكم التنزيل قال لخلقه ... صلوا عليه وسلموا تسليماً

١٣- والقيام لصلاة الليل . ١٤- وختم القرآن . ١٥- وعند الكرب والهم .
١٦- قراءة الحديث . ١٧- وتبليغ العلم . ١٨- والذكر .
١٩- ونسيان الشيء .

وورد أيضاً في أحاديث ضعيفة :

١ - عند استلام الحجر . ٢ - وطنين الأذن . ٣ - وعقب الوضوء .
٤ - وعند الذبح . ٥ - والعطاس .

وورد المنع منها عندهما أيضاً .. أهـ .

ومن المواضع التي تتأكد فيها أيضاً :

١ - التشهد الأول في الصلاة . ٢ - بعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة
٣ - وفي خطب الجمعة والعيدين . ٤ - وعند ذكره .
٥ - وعند الخروج إلى السوق أو دعوة . ٦ - وعند رؤية المساجد والمرور عليها .
٧ - وعند كتابة أسمه الشريف . ٨ - وفي أول النهار وآخره .
٩ - وعقب الذنب . ١٠- وإذا أريد تكفيره .
١١- وعند حصول الفقر أو خوف حصوله . ١٢- خطبة النكاح .
١٣- وعند دخول المنزل . ١٤- وعند عروض الحاجة ، وأريد قضاؤها
١٥- وعند النوم . ١٦- كل كلام خير ذي بال .
١٧- وفي الصلاة إذا مر ذكره حال القراءة، وفي غير التشهد . ١٨- وإذا أراد الشخص الصدقة ولم يكن عنده مال .

وقد ذكر الحافظ ابن القيم في [جلاء الإفهام] والحافظ السخاوي في [القول البديع] هذه المواضع مع إيراد ما ورد فيها من الآثار، وكلا الكتابين مطبوعان .

الثالث: قال أبو العالية : معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه ، ونقل القاضي عياض عن بكر القشيري قال: الصلاة على النبي من الله تشريف، وزيادة تكرمة ، وعلى من دون النبي رحمة ، وقال الحليمي في [شعب الإيمان] هو كتاب نفيس ينقل عنه البيهقي كثيراً في كتاب الأسماء والصفات: أما الصلاة في اللسان فهي التعظيم، وذكر كلاماً في هذا المعنى إلى أن قال: فإذا قلنا اللهم صل على محمد، فإنما نريد اللهم عظّم محمداً في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه ، وإبقاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في أمته ، وإجزال أجره ومثوبته ، وإبداء فضله للأولين

والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود .. أهـ .

قال الحافظ: ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه، فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم، وإذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به .. أهـ .

وأما تفسير الصلاة عليه بالرحمة أو المغفرة فقد أبطله ابن القيم، وخطأ قائله من عدة وجوه قوية ذكرها في [جلاء الإفهام] .

قال القاضي عياض ﷺ في معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

الأول: السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدراً كاللذاذ واللذاذة .

الثاني: السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به، ويكون السلام هنا اسم الله تعالى

الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(النساء:٦٥) .. أهـ .

الرابع: قال الشيخ مصطفى التركماني في شرح مقدمة أبي الليث ما نصه: فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى أمرنا أن نصلي عليه، ونحن نقول: اللهم صلي على محمد، فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه ولا نصلي عليه نحن بأنفسنا، يعني أن يقول العبد: أصلي على محمد؟ قلنا: لأنه ﷺ طاهر لا عيب فيه، ونحن فينا المعايب والنقائص، فكيف يثني من فيه معايب على طاهر؟ فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه، لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر، كذا في المرغيناني .. أهـ .

ومن حكمة ذلك أيضاً كما ذكره أبو اليمن ابن عساكر وغيره: أننا لا نبلغ قدر الواجب من ذلك ولا نفرق ما يليق به، فوكلناها إلى الله تعالى لأنه يعلم ما يليق بنبيه، فهو كقوله ﷺ { لا أحصي ثناء عليك } ومباحث الصلاة عليه ﷺ من حيث فضلها ومواضعها وفوائدها وغير ذلك واسعة منتشرة، أفردت بتأليف عديدة، ومن أحسنها وأجمعها [جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام] لابن القيم، وأجمع منه كتاب [القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع] للحافظ السخاوي، وهو كتاب نفيس لا يستغنى عنه، وقد جمع النبهاني في مقاصد هذين الكتابين وغيرهما في كتاب [سعادة الدارين] فجاء كتاباً حافلاً ـ رحم الله مؤلفه وجزاه عن صنيعه خير الجزاء ـ وبالله التوفيق .

٣٢ ـ حديث: ما ضرب رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: [مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قطُّ بيَدِه ولاَ امرأةً ولا خَادماً إلا أن يُجاهِدَ فى سبيل الله، ومَا نيلَ منه شىءٌ قَطُّ فينْتَقِمُ مِن صَاحِبه إلا أن يُنتَهَكَ شىءٌ مِن مَحارِمِ الله فَينتَقِمَ لله ﷻ} رواه مسلم فى صحيحه .

قولَه: { ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً } فيه دليل على حسن خلقه وكرم طبعه وكثرة حلمه، وفى الصحيح عن أنس [كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً] وقال أنس أيضاً [خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أعلمُه قال لى لم فعلت كذا وكذا، ولا عاب على شىء قط] والخبر عن حلمه ﷺ وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن يحصر، ويكفى دليلاً على ذلك قولَه تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم: ٤) .

قولَه: { إلا أن يجاهد فى سبيل الله } فيكون الضرب حينئذ فى طاعة الله ومرضاته.

قولَه: { إلا أن ينتهك شىء من محارم الله } وهذا استثناء منقطع، والمعنى: لكن إذا انتهك شىء من محارم الله انتصر لله تعالى، وأنتقم ممن ارتكب ذلك فيكون منتقماً لله لا لنفسه، وفى الحديث استحباب الرفق واللين والحث على العفو والحلم، واحتمال الأذى وترك ضرب الزوجة والخادم وإن كان مباحاً، والانتصار لدين الله تعالى، وعدم التساهل مع من ارتكب محرماً ونحوه، وإنه ينبغى للأئمة والقضاة والولاة أن يتخلقوا بهذا الخلق الكريم، فلا ينتقمون لأنفسهم ولا يتساهلون فى حق الله تعالى، إلى غير ذلك مما بينه العلماء .. والله أعلم .

****

٣٣ ـ حديث: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ

عن أنس قال [مَا مَسِسْتُ حَرِيراً ولاَ ديباجاً ألْينَ مِن كَفِّ رسول الله ﷺ، ولا شَمَمْتُ مِسْكاً ولا عَنْبراً أطْيَبَ مِن رِيحِ رسولِ الله ﷺ] رواه البخارى ومسلم .

وفى صحيح مسلم عن أنس أيضاً قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا ـ نام نوم القَيلُولةِ ـ فعرق، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تُسْلُتُ العَرقَ فاستَيقَظَ النبى ﷺ فقال { يا أم سُلَيم ما هذا الذىٌ تصنعين؟ } قَالتْ: هذا عَرقٌ نَجْعلُه لِطِيبنا وهُو أطيبُ الطِّيبِ .

قولَه: [ما مسست حريراً ولا ديباجاً] الخ، فيه دليل على لين مسه وطيب ريحه وعرقه، قال النووى: قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً.

ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين .. أهـ .

وفي صحيح مسلم أيضاً من طريق آخر عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكة ولا عنبر أطيب من رائحة رسول الله ﷺ .

وقوله: { دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا } .. الخ، معناه ظاهر وله طريق آخر في الصحيح أيضاً، وللدارمي والبيهقي وأبي نعيم عن جابر قال [كان في رسول الله ﷺ خصال لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه أو عرفه - بفتح العين، أي: ريحه - ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له] .

وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني زوجت ابنتي وأحب أن تعينني، قال { ما عندي شيء ولكن أتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة } فأتاه بهما فجعل النبي ﷺ يسلت العرق من زراعيه حتى امتلأت القارورة قال { فخذها ومر أبنتك أن تغمس هذا العود في القارورة وتتطيب به } فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب، فسموا بيت المتطيبين .

وروى عبدان في الصحابة والخطيب في المؤتلف من طريق أبي بكر بن عياش عن حبيب بن حدرة عن حريش - بفتح الحاء المهملة - قال: كنت مع أبي حين رجم النبي ماعزا فلما أخذته الحجارة، أرعدت فضمني النبي ﷺ إليه، فسال علي عن عرقه قال: مثل ريح المسك .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى[1] - أي: الظهر - ثم خرج إلى أهله، خرجت معه فاستقبله ولدان - جمع وليد - أي: صبيان، فجعل يمسح خدى إحداهما واحداً واحداً قال: وأما أنا فمسح خدى فوجدت ليده برداً أوريحاً كأنما أخرجهما من جؤنة عطار، والجؤنة - بضم الجيم وبالهمز - وعدمه: سليلة مستديرة يجعل العطار فيها ما عنده من الطيب .

وروى بن الأعرابي في جزء القبل عن أسامة بن شريك قال: أتيت رسول الله ﷺ وعنده أصحابه على رؤوسهم الطير، فجاء الأعراب فسألوا رسول الله ﷺ، ثم قام وقام الناس فجعلوا يقبلون يده، فأخذتها فوضعتها على وجهي، فإذا هي أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج . إسناده قوى .

---

(١) هذا أصل لما أعتاد أهل المغرب من إطلاق لفظ الأولى على الظهر .

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت ـ بكسر التاء الأولى ـ فقيل لها هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم ـ بوزن عظيم ـ على الفراش ففتحت عتيدتها ـ بفتح العين، صندوق صغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها ـ فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع ـ فاستيقظ ـ النبي فقال {ما تصنعين يا أم سليم} فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال {أصبت} وفي هذا الحديث استحباب التبرك بآثاره ﷺ وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما .. والله أعلم .

****

٣٤ ـ حديث: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين } رواه البخاري ومسلم .

قوله: { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده } الخ . قال القاضي عياض وابن بطال وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام :

١ ـ محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد .

٢ ـ محبة رحمة وشفقة كمحبة الولد .

٣ ـ ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس .

فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته أهـ .

وقال الخطابي: لم يرد بالحديث حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار، لأن حب الإنسان لنفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه. فمعنى الحديث: لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك .. أهـ .

وقال ابن بطال: معنى الحديث: أن من أستكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال .. أهـ .

وقال القاضي عياض في شرح مسلم: ومن محبته ﷺ نصرة سنته[1] والذب عن

---

(١) فالمقلدون الذين يعدمون أقوال أئمتهم على الحديث ويتحلون في تأويل النصوص وتحريفها لتوافق ==

شريعته وتمنى حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه، قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبى ﷺ ومنزلته على والد وولد ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن .. أهـ.

وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبى ﷺ: لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شئ إلا نفسى التى بين جنبى، فقال النبى ﷺ { لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه } فقال عمر: والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبى، فقال له النبى { الآن يا عمر }[1] رواه البخارى فى كتاب [الإيمان والنذور] .

وروى ابن إسحاق فى السيرة والبيهقى فى الدلائل: أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع النبى ﷺ فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل - أى: صغيرة .

وقال على ﷺ: كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ .

قال سهل ابن عبد الله التسترى: مْن لم ير ولاية الرسول عليه فى جميع الأحوال، ولم يرى نفسه فى ملكه ﷺ، لا يذوق حلاوة سنته، لأن النبى ﷺ قال { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه } الحديث .. أهـ .

وقال القرطبى: كل من آمن بالنبى ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلوا عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة، إلا أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقاً فى الشهوات محجوباً فى الغفلات فى أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبى ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه فى الأمور الخطيرة، ويجد رجحان ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر فى قلوبهم من محبته ﷺ، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات .

وما أحسن قول ابن أبى المجد:

ألا يا محب المصطفى زد صبابة   وضمخ لسان الذكر منك بطيبه

== مذهبهم، لا يحبون النبى ﷺ وإن ادعوا محبته بلسانهم .

(١) أى: الآن تم إيمانك يا عمر .

ولا تعبأن بالمبطلين فـــإنما   علامة حب الله حب حبيبه

والكلام فى محبته ﷺ بحر واسع نقتصر من جواهره على ما التقطناه . وما توفيقنا إلا بالله .

****

٣٥ ـ حديث: والذى نفس محمد بيده

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال { والذى نَفْسُ مُحَمدٌ بَيدِهِ لاَ يَسْمَعُ بى أحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأمَّة يَهُودِىٌ ولاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بَالّذى أُرْسِلْتُ به إلاَّ كَانَ مِنْ أصْحَابِ النَّارِ } رواه مسلم فى صحيحه .

قولـه: { والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد } الخ، معناه واضح وفيه دليل على أمور :

إحداها: جواز القسم على الأمور المهمة لتأكيدها وتثبيتها فى ذهن السامع .

ثانيها: أن الإيمان به موقوف على بلوغ الدعوة، فلو فرض وجود شخص فى بعض المجاهل لم تبلغه دعوة الإسلام يكون معذوراً عل الصحيح المقرر فى علم الأصول .

ثالثها: نسخ الملل كلها برسالته ﷺ وهذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة فمنكره كافر بلا خلاف .

رابعها: أن الإيمان به ﷺ شرط أساسي في النجاة من النار، فكل من لم يؤمن به دخ النار خالداً فيها أبداً، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(آل عمران: ٨٥) وبهذا نطقت السنة المتواترة وانعقد عليه إجماع الأمة، فلا حظ ليهودى ولا نصرانى فى دخول الجنة أبداً، ومن شك فى هذا فليس مسلماً . وبالله التوفيق .

****

٣٦ ـ حديث: حرّم رسول الله ﷺ

عن المقدام بن معدى كرب قال: حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلى وغيره، ثم قال ﷺ { يُوشكُ أن يَقعُدَ الرجُلُ مِنكُمْ علَى أريكَتِهِ يُحدِّثُ بحديثى فيقول: بَيْنى وبَينكم كِتابُ الله فما وجَدْنا فيه حَلالاً اسْتحلَلْناهُ ومَا وجَدْنا فِيه حَراماً حَرَّمْناهُ، وإنَّ ما حَرَّمَ رسولُ الله مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ } رواه أبو داود والحاكم والبيهقى بإسناد صحيح .

وفي رواية للبيهقي { أَلاَ أَنّي أُوتيتُ الكتَابَ وَمثلَهُ أَلا يُوشِكُ رَجُل شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَته يقُول عَلَيْكُم بِهذا القُرآن فَما وَجَدتُمْ فِيه مِنْ حَلاَل فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدتُم فِيه مِن حَرَام فَحَرِّمُوهُ أَلاَ لاَ يُحلُ لكُم الْحَمَارُ الأَهْلِيُّ } الحديث .

وفي مسند أبي يعلى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ { عَسَى أَنْ يُكَذِّبَنِي رَجُل مِنكُمْ وَهُوَ مُتكِئٌ عَلى أَرِيكَته يَبْلُغُه الحَدِيثُ عَنِّي فَيقُولُ مَا قَالَ رسُولُ الله هَذا، دَعْ هَذا وَهَاتِ مَا فِي الْقُرآنِ } وللحديث طرق .

قولَه: { حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره } وروى أحمد عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ { حرم يوم خيبر كل ذى ناب من السباع والمجثمة - بضم الجيم وفتح الثاء المشددة، كل حيوان يمسك ويجعل غرضاً للرمى حتى يموت - والحمار الأنس } صححه الترمذى .

ولأحمد والترمذى بإسناد لا بأس به عن جابر قال: حرم رسول الله ﷺ يعنى يوم خيبر لحوم الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب - بكسر الميم وفتح اللام - من الطير، زاد في حديث العرباض ابن سارية عند أحمد بإسناد لا بأس به (تحريم الخلسة) وهى بضم الميم وسكون اللام (الفريسة) - يستنفدها الرجل من الذئب أو السبع فتموت في يده قبل أن يذكيها، فبان بهذه الروايات ما أبهمته رواية حديث الترجمة.

قولَه: { يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته } أى: سريره، يحدث: بالبناء للمجهول، أى: يحدثه أحد بحديثى فيقول: بينى وبينكم كتاب الله .. الخ، هذا من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به ﷺ، وظهر مبتدعة ملحدة ينكرون الحديث النبوى عملاً واحتجاجاً، ويزعمون أن الحجة في القرآن خاصة، فإن ذكرت لهم قولَه تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾(الحشر:٧) قالوا: يعنى في القرآن لا في غيره، وهكذا كل آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحملونها على طاعته في القرآن فقط، ومنهم من يحتج لهذا الرأى الفاسد بحديث {ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله} وهذا حديث مكذوب. قال الشافعى: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول .

وقال يحيى بن معين: هو حديث موضوع، وضعته الزنادقة، وقال عبد الرحمن بن مهدى: الزنادقة والخوارج وضعوا حديث { ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله } وقال

البيهقي في المدخل: هذا حديث باطل لا يصح، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن .

وقال الحافظ بن عبد البر في كتاب [العلم]: هذه الألفاظ لا تصح عن النبي ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وعارض ابن حزم فقال: عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا كتاب الله تعالى يقول ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾(الحشر:٧) ووجدنا فيه ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾(آل عمران:٣١) ووجدنا فيه ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾(النساء:٨٠) وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل، وبينت عللها في كتاب [الابتهاج بتخريج حديث المنهاج] في الأصول.

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول: اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وإنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام .

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال { ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه } أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وغير ذلك، مما لم يأت عليه الحصر أهـ .

قلت: وقد انعقد إجماع الأئمة والعلماء على العمل بالسنة المطهرة والاحتجاج بها في أصول الدين وفروعه، إلا ما كان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله . ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولمزوا السنة وناقليها وأعرضوا عنها، فتصدى الأئمة للرد عليهم، وبيان زيغهم وضلالهم، فللإمام الشافعي في ذلك كلام طويل جميل، ذكره في الرسالة ونقله البيهقي في المدخل، وعلق عليه بما يؤيده من الأحاديث والآثار، فزاده حسناً على حسن، وللإمام أحمد بن حنبل كتاب خاص في الرد عليهم، وفي كتاب العلم للحافظ ابن عبد البر باب خاص في هذا المعنى، ذكر فيه من نصوص الأئمة ما فيه الكفاية .

وللحافظ السيوطي رسالة [مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة] وهي مطبوعة. ذكر أنها ألفها بسبب رافضي ذنديق سمعه يقول: أن السنة لا يحتج بها، وإن الحجة في القرآن خاصة، وهي رسالة مفيدة قيمة .

وللقاضي عياض في [الشفاء]: فصل حسن هذا المعنى وكذا في [المواهب اللدنية] وغيرها، والمقصود: أن السنة أصل من أصول الدين، لا يتم الإسلام إلا بالأحكام إليها والاستسلام لها كما قال تعالى ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ[١] وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(النساء: ٦٥).

وروى الإمام الشافعي ﷺ يوماً حديثاً وقال: أنه صحيح فقال لـه قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أريتني نصرانياً؟ أريتني خارج من كنيسة؟ أرأيت في وسطى زناراً ؟ أروى عن رسول الله ﷺ حديثاً ولا أقول به .. أهـ . وأقوال الأئمة فى هذا كثيرة جداً .

قولـه: وإن مـا حـرم[٢] رسـول الله مثل ما حرم الله، أى: في وجوب الاجتناب كما

---

(١) قـال الإمـام أبـي اسـحق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن دحيم فى تفسيره حدثنا شعيب بن شـعيب حدثـنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثنى أبى عن رجلين اختصما إلى النبى ﷺ فقضى لـلمحق عـلى المبطل، فقال المقضى عليه: لا أرضى، فقال صاحبه ما تريد؟ قال: نذهب إلى أبى بكر الصديق، فذهبا إليه، فقال الذى قضى له: قد اختصمنا إلى النبى ﷺ فقضى لى عليه، فقال أبو بكر: أنـتما عـلى مـا قضـى بـه النبى ﷺ، فأبى صاحبه أن يرضى وقال: نأتى عمر بن الخطاب، فأتياه، فقـال المقضـى لَـه: قـد اختصـمنا إلى النـبى ﷺ فقضـى لى علـيه، فـأبى أن يرضى، ثم أتينا أبا بكر الصديق، فقال أنتما على ما قضى به النبى ﷺ فأبى أن يرضى، فسأله عمر فقال كذلك، فدخل عمر فخـرج والسيف فـي يده فضرب بهِ رأس الذى أبي أن يرضى فقتله، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ فلا وَرَبِّـكَ لا يُؤْمِـنُونَ حَـتَّى يُحَكِّمُـوكَ فِـيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ وقال أيضاً: حدثنا الجوزجانى حدثنا أبو الأسـود عـن أبـى لهـيعة عـن أبى الأسود عن عروة بن الزبير قال: اختصم إلى رسول الله ﷺ رجلان فقضـى لأحداهما، فقال الذى قضى عليه: ردنا إلى عمر، فقال رسول الله ﷺ {نعم انطلقوا إلى عمر} فانطلقـا فـلما أتـيا عمـر، فقال الذى قضى لـه: يا ابن الخطاب إن رسول الله ﷺ قضى لى، وإن هذا قـال ردنـا إلى عمـر، فردنا إليك رسول الله ﷺ فقال عمر للذى قضى عليه: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمـر: مكـانك حتى أخرج فأقضى بينكم. فخرج مشتملا على سيفه فضرب الذى قال: ردنا إلى عمر فقـتله، وأدبـر الآخـر إلى رسـول الله ﷺ فقـال: يـا رسول الله أن عمر قتل صاحبى ولولا ما أعجزته لقتلـنى، فقـال النـبى ﷺ { مـا كنتِ أظن أن عمر يجترىء على قتل مؤمن } فانزل الله تعالى ﴿ فلا وَرَبِّـكَ لا يُؤْمِـنُونَ حَـتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴾، فبرأ الله عمر من قتله، ورواه ابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسـيرهما مـن طـريق وهـب عـن ابـن لهيعة عن أبى الأسود قال: اختصم رجلان، فذكر القصة وفى آخـرها: فـأهدر دمـه، ورويـت مـن غـير هذين الطريقين أيضاً، وجاء فى بعض الطرق بيان أن الذى قضـى لــه يهـودى، وإن الـذى قضـى علـيه منافق أسمه: بشر، فإن قيل: ثبت فى الصحيحين عن عروة بن الزبير عن أبيه أنه خاصم رجلان من الأنصار، قد شهد بدرا إلى النبى ﷺ فى شراج الحرة. كانـا يسـقيان بهـا كلاهمـا. فقـال النـبى ﷺ للزبير { اسق ثم أرسل إلى جارك } فغضب الأنصارى وقـال: يـا رسـول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير { اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك } فاستوفى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان قبل ذلـك أشـار عـلى الـزبير بـرأى أراد فـيه سعة للأنصارى وله، قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا فى ذلك ﴿ فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴾ فهذا الحديث ينافى ما تقدم، قلنا: لا تـنافى بيـنهما، لأن الـزبير لم يجـزم بـأن الآيـة نزلت بسبب هذه الحادثة وعلى فرض وجود الجزم بذلـك كمـا جـاء صـريحاً عـن سـعيد بـن المسـيب، عند أبى حاتم فيجوز تعدد الأسباب لنزول الآية الواحـدة، عـلى أن ابـن جريـر الطـبرى اختار أن تكون الآية نزلت فى المنافق واليهودى، ثم تتناول بعمومها قصة الزبير. قال ابن العربى فى الأحكام: وهو الصحيح .. أهـ .

(٢) لا يعارض هذا قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ ==

قال فى الحديث الآخر { وإذا انهيتكم عن شيء فاجتنبوه } .

قولـه: { ألا أنـى أوتيت الكتاب ومثله معه } فى رواية أخرى { ومثليه معه } بالتثنية، أى: أوتيت مثل القرآن من السنة كما تقدم فى كلام الشوكانى، وذلك أن الوحى نوعان: متلو: هو القرآن الكريم، وغير متلو وهو الحديث الشريف، فطاعتهما واجبة على كل مسلم .

قولـه: { يبلغه الحديث عني فيقول ما قال الرسول هذا } .. الخ، فيه دليل على أن نفى ورود الحديث لا يكون عذراً فى ترك العمل به، بل يعد تكذيباً له إلا إن دلت القواعد الحديثية على عدم صحته، فحينئذ يكون المرء فى حل من تركه، ومن هنا تعلم ضلال ما عليه مبتدعة اليوم ـ وفيهم كثير من الأزهريين ـ من تخلصهم من السنة وفرارهم من العمل بها، وحض غيرهم على إلغائها بقولهم: هذا حديث غير صحيح، أو يخالف العقل، أى: عقلهم القاصر، أو يخالف العلم الحديث، أو هذا آحاد والمطلوب التواتر، أو طرق الحديث مضطربة أو هذا من الإسرائيليات، ونحو هذا مع الأعذار الواهية التى يتخذونها ذريعة إلى رد السنة النبوية، مع أن أهل الأزهر[1] لا يعرفون الحديث ولا يميزون بين صحيحه وسقيمه، ولا بين مقبوله ومردوده، بل هم أبعد الناس عن هذا العلم الشريف وأجهلهم به، ولو اطلعت على مذكراتهم فى المصطلح والرجال وشرح أحاديث الأحكام، لرأيت فيها من فضائح الجهل ما يضحك الثكلى ويسلى الحزين، ولهذا، أكثر فيهم من يبغض الحديث الشريف ويناصبه العداء، ويدعوا إلى إهماله وعدم الاهتبال به. ويصرح بذلك فى غير خجل ولا استحياء، ولا عجب فى ذلك فقديماً قيل [من جهل شيئاً عاداه] وإنما العجب أن يتعيشوا على حساب الدين فى وقت يحاربون فيه سنة صاحب الدين. إن هذا لهو منتهى العجب ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

****

== (التحريم: ١) أن التحريم يطلق بمعنيين:

أحدهما: منع الشيء شرعا بحيث يأثم فاعله، وهذا هو المراد فى الحديث، لأن النبى ﷺ لما وجد الصحابة يوم خيبر يطبخون لحوم الحمر الأهلية، أمرهم باهراق ما فى القدور وأخبرهم أنها لا تحل لهم فصارت حراما كتحريم الميتة المنصوصة فى القرآن .

والثانى: الامتناع من الشيء مع إباحته لسبب غير شرعى، وهذا هو المراد فى الآية فإن النبى ﷺ امتنع من قربان مارية ليرضى زوجته حفصة، فعاتبه الله على أن منع نفسه مما أباحه الله له. ابتغاء مرضاة أزواجه، وهذا مثل قوله تعالى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾(القصص: ١٢) فإن موسى عليه السلام كان رضيعاً لا يتعلق به تكليف لكنه أمتنع من قبول المراضع، حتى جاءت أمه فالتقم ثديها .

(١) كذا بالمخطوط، ويبدوا أن فيه سقطاً تقديره : ومع أن بعضاً من أهل الأزهر ... الناشر .

٣٧ ـ حديث: أوتيت مفاتيح كل شيء

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال { أوتيتُ مَفَاتِيحَ كُلِّ شَيْءٍ إلا الخَمْسَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(لقمان: ٣٤) } رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

وفي الصحيحين عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلاّ ذكرَه، حَفظه من حَفظه، ونَسيه من نَسيَهُ، إنه ليكون منه الشيءُ قد كنتُ نَسيتَه فأراه فأذكرُه كما يَذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غَاب عنهُ، ثم إذا رآهُ عرفَهُ.

قوله: { أوتيت مفاتيح كل شيء } أى: من العلوم والمعارف وسائر المغيبات، قال القاضي عياض في الشفاء في فصل ما أطلع عليه من الغيوب ما نصه: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب .. أهـ .ثم أورد جملة منها فليراجع.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ { إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه } وقد أخبر النبى ﷺ بكثير من أحوال هذا العصر ومخترعاته، جمعها شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله فى كتاب [مطابقة الاختراعات العصرية بما أخبر به سيد البرية] وهو طبع مكتبة القاهرة.

قوله: { إلا الخمس ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(لقمان: ٣٤) } وفي صحيح البخارى عن ابن عمر مرفوعاً [مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون فى الغد إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله، ولا يدرى أحد متى يجيء المطر إلا الله] ومقتضى هذا أنه لم يكن ﷺ يعلم الخمس، وإليه ذهب الجمهور، ولكن قال الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى: ذهب بعضهم إلى أنه ﷺ أوتى علم الخمس أيضاً وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك .. انتهى، وبه جزم كثير من المتأخرين.

وللإمام منصور البغدادى فى هذا الموضوع كتاب اسمه [إقامة شواهد المنقول والمعقول على إحاطة علم نبينا الرسول] وسأل الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الحى الحلبى العلامة

المحدث عبد الملك بن محمد التجموعتى قاضى سجلماسة عن هذه المسألة فأجابه: برسالة خاصة سماها [ملاك الطلب وجواب أستاذ حلب] جزم فيها بأنه ﷺ كان يعلم الخمس .

وللشيخ أحمد رضا على خان البريلوى الهندى فى هذا الموضوع ثلاث رسائل: [مالى الجيب بعلوم الغيب] [اللؤلؤ المكنون فى علم البشير ما كان وما يكون] [إنباء المصطفى بما أسر وأخفى] .

وقال العلامة أبو عبد الله محمد الحبيب ابن عبد القادر السجلماسى الحسنى فى شرح منظومة الأسماء الحسنى للهلالى: يجب علينا أن نعتقد أنه ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى حصل له العلم بجميع المعلومات، للحديث الصحيح { أوتيت علم كل شىء وتجلى لى كل شىء } وما ورد مما يخالفه، منسوخ بهذا، وبه تظهر مزيته وفضيلته العلمية على سائر الأنبياء، بعد اشتراكهم فى علم الغيب المستثنى لهم فى آية ﴿ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾(الجن:٢٧) قال فيهم بعض المفسرين: يريد أو ولى، لأن الولى وارث العلم من النبوة .. أهـ .

وفى شرح أنموذج اللبيب للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن عمر الروضى المالكى ما نصه: الصحيح كما قاله المحققون أنه ﷺ أوتى علم كل شىء حتى الخمسة وحتى علم الروح وأمر بكتم ذلك .. أهـ . ونحوه فى شرح الجوهرة اللقانى لمؤلفها، وشرح الأربعين النووية للشبرخيتى وغيرهما، وفى فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوى فى الكلام على حديث { خمس لا يعلمهم إلا الله } الخ، ما نصه: خمس لا يعلمهن إلا الله على وجه الإحاطة والشمول، كلياً وجزئياً، فلا ينافى فيه إطلاع الله بعض خواصه على كثير من الغيبات حتى من هذه الخمس، لأنها جزئيات معدودة، وإن كان للمعتزلة فى ذلك مكابرة .. اهـ .

قلت: والذى أرجحه وأميل إليه أنه ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى علمه الله هذه الخمس لأنه لم يزل يترقى فى العلوم والمعارف كل يوم، بل كل لحظة وعموم الأحاديث يشهد بذلك.

منها حديث البخارى عن أسماء بنت أبى بكر: أن النبى ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال { ما من شىء لم أكن أريته قبل إلا رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار } وهذه الخطبة كانت بالمدينة .

ومنها حديث سمرة بن جندب قال كسفت الشمس، فصلى النبى ﷺ ثم قال { إنى والله لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقوه من أمر دنياكم وأخراكم } حديث صحيح رواه أحمد وغيره .

ولا ينافيه قولـه فـى حديـث الترجمة { إلا الخمس } لأنه كان قبل أن يعلمها، ثم علـمها بعـد ذلك، وهذا كما نهى عن تفضيله على موسى ويونس وإبراهيم عليهم السلام، ثم أخـبر أنـه أفضـل الأنبياء، ورد عـلى مـن دعاه سيداً بأن السيد الله، ثم أخبر أنه سيد ولد آدم، وأمـره الله تعـالى فـى القـرآن أن يقـول للكفـار ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(ص: ٦٩) ثم أخبر بعد ذلك أن الله أطلعه على خصامهم .

ففـى حديـث ابـن عـباس ومعاذ وغيرهما عن النبى ﷺ قال { رأيت ربى فى أحسن صـورة فقـال يـا محمـد، قلت: لبيك رب وسعديك، قال: أتدرى فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلـت: لا أدرى يا رب، قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها فى صدرى فتجلى لى كـل شـىء وعرفت } وذكـر الحديـث وهـو فـى سنن الترمذى ومسند أحمد وغيرهما بطرق مـتعددة، وهـو حديث صحيح[1]، وقد تكلمت عليه فى [قمع الأشرار عن جريمة الانتحار] المطـبوع للناشـر مكتـبة القاهـرة مع [الأربعين الغمارية] وشرحه الحافظ بن رجب فى جزء مطـبوع اسمـه [اختـيار الأعـلى فـى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى] وهذا الحديث أحد الأدلـة عـلى علمه بالخمس أيضاً، لأن قوله { فتجلى لى كل شىء } عام بل هو أقوى صيغ العموم، كما تقرر فى الأصول .

قولـه فـى حديـث حذيفة: { قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام السـاعة } يعـنى مـن الفتن والحوادث وغيرها إلا ذكره، الحديث. نحوه قول عمر: { قام فيـنا رسـول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار مـنازلهم، حفـظ ذلـك مـن حفظـه ونسـيه مـن نسـيه } رواه البخارى معلقاً بصيغة الجزم، ووصله الطبرانى، وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكـر لـنا مـنه عـلما، رواه أحمد والطبرانى بإسناد صحيح، وكذلك قال أبو الدرداء، رواه أبو يعلى والطبرانى وغيرهما ... والله أعلم .

****

٣٨ ـ حديث: إن أعمىَ كانت

عـن ابـن عـباس قـال: إن أعمَى كانت له أُمُّ ولد على عهد رسول الله ﷺ تُكثِرُ الوقيعةَ فـى رسـول ﷺ وتشـتُمه فقتلها الأعمى، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ { أشْهدُ أنَّ دَمَها

(١) نقل الترمذى عن البخارى أنه قال حديث صحيح .

هَدَرٌ } رواه أبو داود والنسائي والبيهقي وهذا لفظه، وفي سنن أبي داود والبيهقي، واللفظ للأول عن أبي برزة قال: ((كنت عند أبي بكر ﷺ فتغيظ على رجل، فاشتد عليه فقلت: ائذن لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه، قال: فأذهبت كلمتي غضبه فقام فدخل، فأرسل إلي وقال: ما الذي قلت آنفاً؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلاً لو أمرتك؟ قلت: نعم، قال: لا والله ما كانت لبشر بعد رسول الله ﷺ)) صححه الحاكم، وابن تيميه

قولـه: {إن أعمى كانت له أم ولد على عهد رسول الله ﷺ تكثر الوقيعة فيه.. الخ} وفي سنن أبي داود وسنن ابن بطة عن الشعبي عن علي ﷺ أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ، وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت، فأهدر رسول الله ﷺ دمها، وجاء في رواية: أن الرجل كان أعمى .

قال ابن تيميه في كتاب [الصارم المسلول على شاتم الرسول] وهذا الحديث نص في جواز قتلها، يعني: اليهودية، لأجل شتم النبي ﷺ، ودليل على قتل الذمي، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبا بطريق الأولى .. أهـ . وقال أبو بكر ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على من سب النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك مالك بن أنس، والليث، وأحمد واسحق وهو من مذهب الشافعي .. أهـ .

وقال القاضي عياض في [الشفاء]: اعلم أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه أو الحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب، يقتل كما نبينه .

ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب، وعلى هذا المقصد، ولا نمتري فيه، تصريحاً كان أو تلويحاً، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمن مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام، وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيرّه بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة إلى هلم جر .. انتهى .

وقال الإمام محمد بن سمنون: أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ والمنتقض له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر .. أنتهى .

وقال الإمام ابن عتاب: الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبى ﷺ بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قل فقتله واجب .. انتهى .

وسمع رجل قوماً يتذاكرون صفة النبى ﷺ إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم: تريدون تعرفوا صفته؟ هى فى صفة هذا المار فى خلقه ولحيته، فأفتى الإمام ابن أبى زيد القيروانى بقتله وعدم قبول توبته .

وأفتى الإمام أبو الحسن القابسى فيمن قال فى النبى ﷺ يتيم أبى طالب أنه يقتل .

وفتاوى العلماء ونصوصها فى هذا كثيرة [1] .

قولـه: { كنت عند أبى بكر فتغيظ على رجل } الخ، لهذا الأثر طرق عند النسائى وغيره، وروى قاسم بن أصبغ فى مصنفه، ومن طريقة ابن حزم عن أبى برزة قال: أغلظ رجل لأبى بكر الصديق، قلت: ألا اقتله؟ فقال أبو بكر ﷺ: ليس هذا إلا لمن شتم النبى ﷺ، ورويا أيضاً عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز فكتب إلى عمر: إنى وجدت رجلاً بالكوفة يسبك وقامت عليه البينه، فهممت بقتله أو قطع يده أو قطع لسانه أو رجليه، ثم بدا لى أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز سلام عليك، أما بعد: والذى نفسى بيده لو قتلته لقتلتك به، ولو قطعته لقطعتك به، ولو جلدته لأقدته منك، فإذا جاءك كتابى هذا فأخرج به إلى الكناسة، فسبه كالذى سبنى أو أعف عنه فإن ذلك أحب إلى، فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم يسب أحداً من الناس إلا رجلاً سب رسول الله ﷺ .

---

(١) من ذلك ما حصل بتونس سنة ٧٨٤ هـ وهو أن رجلاً قال لآخر أنا عدوك وعدو نبيك، فعقد له مجلس فأفتى بعض المالكية بأنه مرتد وأخذ كفره من قوله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ ﴾(البقرة:٩٨) وأفتى بعضهم بأن كفره كفر تنقيص، فلا يستتاب، وأخذ ذلك مما فى الشفاء من أن امرأة سبت النبى ﷺ فقال { من يكفينى عداوتها } فقتلت، ومن كون خالد ﷺ قتل من قال له عن النبى ﷺ: صاحبكم، ومن إفتاء ابن عتاب بقتل من قال: إن سألت أو جهلت فقد سأل وجهل نبيك، واعترضه بعضهم بأن الحديث نص فى أن كل ساب عدو، ولا شك فيه، وإنما الكلام فى عكس هذه القضية، وهى لا تنعكس كنفسها، لكن (تنعكس إلى جزئية سالبة وهى بعض العدو ليس بساب) بل قوله أنا عدوك وعدو نبيك، ربما أشعر بترفيع المقول له ذلك، لأنا نجد الوضعاء يجعلون لنفسهم منزلة بذلك، يقول الواحد منهم: أنا عدو الأمير، والأمير عدو لى، وقصده به رفع نفسه لأنه فى رتبة من يعادى الأمير، وبأن قتل خالد لمن ذكر، مذهب صحابى على أن عمر ﷺ ودى القتيل من بيت المال، ورأى أن قتله غير صواب، وبأن إفتاء ابن عتاب إنا هو لأن ما ذكر فى قضيته صريح فى التنقيص، فالتحقق أن قائل ما مر مرتد لا منقص .. أهـ . والمرتد عن المالكية يستتاب، أما المنقص فإنه يقتل بلا استتابه، قال العلامة ابن حجر الهيتمى الشافعى: أما على قواعدنا فالذى يظهر أنه مرتد .

وروى محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومن طريقه ابن حزم عن على بن المدينى قال: دخلت على أمير المؤمنين فقال لى: أتعرف حديثاً مسنداً فيمن سب النبى ﷺ فيقتل؟ قلت: نعم وذكرت له حديث عبد الرازق عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ {من يكفينى عدواً لى} فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبى ﷺ فقتله، فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مسنداً، هو عن رجل، فقلت يا أمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو أسمه، وقد أتى النبى ﷺ فبايعه وهو مشهور معروف، قال: فأمر لى بألف دينار.

وقال ابن حزم: هذا حديث مسند صحيح، وقد رواه على بن المدينى عن عبد الرازق كما ذكره، ثم قال ابن حزم بعد ذكر ما تقدم من الآثار ما نصه: فصح بما ذكرناه أن كل سب الله تعالى أو استهزاء به أو سب ملكاً من الملائكة أو استهزأ به أو سب نبياً من الأنبياء أو استهزاء به، أو سب آية من آيات الله تعالى أو استهزاء بها - والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى - فهو بذلك كافر مرتد، له حكم المرتد، وبهذا نقول .. اهـ.

قلت: يدخل فى هذا ما بلغنى عن بعض السبكيين ممن أنضم أخيراً إلى القصيمى - قصمه الله - أنه قال فى مجلس يضم كثيراً من الناس: إن القرآن ناقص، لأنه لم يشر إلى المخترعات الحديثة، وإنه كان الواجب أن يقول: وإن لكم فى الأورنيوم لعبرة بدل قوله ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾(النحل:٦٦) مثلاً. وهذا كما ترى كفر صريح يوجب قتل صاحبه . والعياذ بالله.

****

تنبيـــــــــــــــه

كثير ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبياً من الأنبياء أو ملكاً من الملائكة على سبيل ضرب المثل كأن يقول: إن قيل فى السوء فقد قيل فى النبى، وإن كذبت فقد كذب الأنبياء، أو صبرت كصبر أيوب، أو لا أفعل كذا ولو نزل على جبريل. أو أنا أسلم من ألسنة الناس، ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله، أو كل الناس أذنبوا حتى الأنبياء. ونحو هذا مما يدور بين الناس فى محاورتهم ومخاصماتهم.

قال القاضى عياض فى [الشفاء] بعد أن ذكر كثيراً من الأمثلة من هذا القبيل ما نصه: فحق هذا - إن درئ عنه القتل - الأدب والسجن، وقوة تعزيزه بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به، ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق

سنه، ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به .. اهـ . ثم نقل فتاوى عمر بن عبد العزيز ومالك وسحنون وغيرهما، فليراجع كلامه، فإنه أجاد فيه غاية الإجادة .

وللحافظ السيوطى رسالة [تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء] ألفها بسبب حادثة وقعت من القبيل المذكور، وهى مطبوعة فى كتابه [الحاوى للفتاوى] ومن قلة الأدب مع النبى ﷺ ما سمعته من عالم أزهرى - وهو فى الواقع جاهل - سمعته يقول فى مجلس خليط: إن محمداً أخطأ وسجل الله عليه الخطأ فى القرآن أعادها مرتين أو ثلاثاً، فأخذ بعض الحاضرين حماسة الإيمان ورد عليه بأن هذا لا يليق، وإن النبى ﷺ لم يخطئ، فأصر على مقالته وأعادها، وقال: إنه يأسف على تصريحه هذا ولكن دعاه إليه التعليم .

قلت: ما كان أحوجه أن يأسف على قلة أدبه وكثرة جهله وفرط حقده وتعصبه، ومقام النبوة أعلى وأجل عن مثل هذا التعبير الشنيع .

قال ابن السبكى فى جمع الجوامع: والصواب أن اجتهاده ﷺ لا يخطئ قال شارحه الجلال المحلى: تنزيهاً لمنصب النبوة عن الخطاء فى الإجتهاد، وقيل: قد يخطئ، ولكن ينبه عليه سريعاً، لما تقدم فى الآيتين ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾(الأنفال: ٦٧) ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾(التوبة: ٤٣)[1] ولبشاعة هذا القول عبر المصنف بالصواب .. أهـ . أى: ليفيد أن مقاله غير صواب، كما قال العلامة العطار فى حاشيته على جمع الجوامع ... والله أعلم .

****

٣٩ - حديث: هل ترون قبلتى

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال { هَلْ تَرَوْنَ قبلتى هَهُنَا؟ فَو الله مَا يَخْفَى عَلَىَّ رُكُوعُكُمْ وَلاَ سُجُودُكُمْ إِنِّى لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِى } رواه البخارى ومسلم .

ولمسلم عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال { أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى إِمَامُكُمْ فَلاَ تَسْبِقُونِى بِالرُّكُوعِ وَلاَ بِالسُّجُودِ فَإِنِّى أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِى وَمِنْ خَلْفِى } وللحديث طرق .

قوله: { هل ترون قبلتى هاهنا } .. الخ، فى رواية لأبى هريرة فى الصحيح قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم أنصرف فقال { يا فلان ألا تُحسِنُ صلاتك، ألاَ يَنظُر المصلّى إذا صلى كيف يُصلّى فإنما يصلّى لنفسه إنى والله لأُبصرُ من وَرائى كما أُبصِرُ بن بَين يَدىّ } .

---

(١) بينت فى كتاب [فضائل النبى فى القرآن] أن الآيتين لا تقتضيان نسبة الخطاء إليه ﷺ .. فليراجع .

وفى حديث أنس فى الصحيح أيضاً { أَقِيمُوا الركُوعَ والسُّجودَ فواللهِ إنى لأَراكُم مِن بَعْدِى أو مِن ظَهْرِى إذا ركعتمُ وإذا سَجَدتُم } .

قال العلماء فى معنى هذه الأحاديث: { إن الله تعالى خلق له ﷺ إدراكاً خلف رأسه يبصر به من ورائه } وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به .

ونقل القاضى عياض عن الإمام أحمد بن حنبل وجمهور العلماء: أن هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة .. أهـ . من شرح النووى على مسلم، ولم يثبت فى شيء من الأحاديث أن هذه الرؤية كانت بعينين صغيرتين بين كتفيه كسم الخياط، لا تحجبهما الثياب كما ذكره الزاهدى بختيار محب بن محمود، شارح القدورى فى رسالته الناصرية، ومثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صح نقله، وإلا قصر فى إثبات كونه معجزة، كما قال القسطلانى: حملها على الإدراك بغير آلة، وأما ما أراده ابن الجوزى فى بعض كتبه بغير إسناد أنه ﷺ قال { إنى لا أعلم ما خلف جدارى هذا } فلا أصل له كما نقل الحافظ السخاوى عن شيخه الحافظ ابن حجر .

ويؤخذ من رواياتِ حديث الترجمة:

الأمر بإحسان الصلاة والخشوع فيها وإتمام الركوع والسجود، وجواز الحلف بالله لغير ضرورة، ولكن المستحب تركه، إلا لحاجة كتأكيد أمر وتفخيمه أو تمكينه من النفوس كما هنا، فإنه لما كانت الرؤية من الخلف أمراً خارقاً للعادة أكدها باليمين، وجاء فى إحدى روايات أنس فى الصحيح { أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى فى الركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف عنى فإنى أراكم أمامى ومن خلفى } فيؤخذ من هذه الرواية تحريم سبق الإمام بهذه الأشياء، فمن فعل ذلك آثم، وصحت صلاته عند الجمهور، وعن ابن عمر تبطل صلاته، وهو مذهب الظاهرية، ورواية عن الإمام أحمد لأن النهى يقتضى الفساد .

****

تنبيـــــــــــــــه

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء، وروى البيهقى وابن عدى عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء، فهى معجزة أخرى تتعلق ببصره الشريف، وتضعيف ابن دحية لهذين الحديثين لا يضر لأنهما مؤيدان بما ورد فى معناهما مما هو

خـارق للعادة، فقد تواتر رؤيته للملائكة والشياطين، وصح رفع بيت المقدس حتى صار ينظر إليه وهو يخبر عنه صبيحة ليلة الإسراء، ورؤيته الجنة والنار وهو فى الصلاة، إلى غير ذلك

وأيضـاً فـإن شقيقنا الحافظ أبا الفيض ـ رحمه الله ـ قال: أخبرنا أبو البركات عوض محمد العفرى، أنا[1] إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، أنا صالح بن محمد العمرى، أنا محمـد بـن سنة، أنـا الشـريف الوولاتى، أنا الشهاب أحمد المقرى، أنا عمى مفتى تلمسان سـعيد ابـن أحمـد المقـرى، أنـا أبـو عبد الله محمد بن محمد التنسى التلمسانى، أنا والدى محمـد بـن عـبد الله التنسـى، أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن مرزوق الحفـيد عـن أبـيه عـن جـده الخطيـب قال: أنا أبو المجد أحمد بن أبى عبد الله محمد بن القاضـى أبـى الفضـل عـياض عـن أبـيه عـن جـده الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى بن عـياض اليحصبى قـال: أخـبرنا أبـو محمـد عـبد الله بـن أحمد العدل من كتابه حدثنا أبو الحسـن المقـرئ الفرغانى حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكـر عـن أبيها حدثنا الشريف أبو الحسـن عـلى بن محمد الحسنى حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن سـليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحى بن وثـاب عـن أبـى هريرة عن النبى ﷺ قال { لما تجلى الله ﷻ لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفاء فى الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ } .

قـال القاضـى عـياض: ولا يـبعد عـلى هـذا أن يخـتص نبيـنا ﷺ بما ذكرناه من هذا الـباب ـ يعـنى رؤيـته فى الظلمات وغير ذلك ـ بعد الإسراء والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى .. أهـ . وهذا الحديث أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير .

****

٤٠ـ حديث: إنا نسمع أحاديث من يهود

عـن جابـر قـال: أتـى عمر رضي الله عنه النبى ﷺ فقال: إنا نَسمَعُ أحاديثَ من يَهود تُعجبُنَا أفـترى أن نكتـب بعضـها؟ فقال { أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ اليهُودُ والنَّصَارَى لَقَدْ جِئتكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً مَا وَسِعَهُ إلاَّ إتِّبَاعِى }[2] .

---

(١) أنا مختصرة من أخبرنا، وثنا أو نا مختصرة من حدثنا، فليعلم ذلك .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن وابن حبان بإسناد صحيح، ورواه أحمد عن ابن عباس بإسناد حسن أيضاً، وله مع هذا طرق .

قولـه: { أمتهوكون أنتم } أى: متحيرون، كما قال الحسن، والتهوك: التحيز.

قولـه: { كما تهوكت اليهود والنصارى } وذلك لأن كتبهم دخلها التحريف بالزيادة والنقصان، فتحيروا فى دينهم واختلفوا فيه، ولكن ديننا محفوظ كما قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(الحجر: ٩) ولفظ الذكر فى الآية الشريفة يشمل القرآن والحديث، كما بينه الحافظ المجتهد أبو محمد ابن حزم فى كتاب الأحكام.

قولـه: { لقد جئتكم بها } أى: الآية الشريفة { بيضاء نقية } كنى بياضها ونقائها عن يسرها وسماحة تعاليمها وما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأدب.

قولـه: { ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعى } لأن الله تعالى أخذ عليه وعلى جميع الأنبياء عهداً أن يؤمنوا به وينصروه، قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾(آل عمران: ٨١) فهو ﷺ نبى الأنبياء وخاتمهم.

والقاديانية ـ لعنهم الله ـ يروون هذا بلفظ [ولو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعى] ليستدلوا على إن عيسى مات. وأنه لا ينزل، والحديث بهذا اللفظ باطل لا أصل له، بل هو من جملة أكاذيبهم الكثيرة ـ أخزاهم الله ـ.

وللطبرى فى التفسير وأبى داود فى المراسيل من طريق يحي ابن جعيدة: أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتف قد كتبوا فيها ببعض ما تقول اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال { كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم } فنزلت ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾(العنكبوت: ٥١).

والحديث يقتضى النهى عن الأخذ من كتب الإسرائيليات، وذلك فيما يتعلق بالأمور الدينية من أصول وفروع، أما ما يتعلق بالمواعظ والآداب وأخبار الأوائل فلا باس بذلك، ما لم يخالف ما ثبت بدليل صحيح، وقد كان جماعة من الصحابة يحدثون عن أهل الكتاب كعبد الله بن عمر بن العاص، وعبد الله بن عباس وأبى هريرة[١] وكان عمر يقول لكعب الأحبار:

---

(١) بل قال إبراهيم بن أبى يحى: أنا معاذ بن عبد الرحمن عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه: أنه جاء إلى النبى ﷺ فقال: إنى قرأت القرآن والتوراة، فقال ﷺ { أقراء هذا ليلة وهذا ليلة } قال الذهبى فى تذكرة الحافظ: هذا أن صح ففيه الرخصة فى تكرير التوراة وتدبرها .. أهـ. قلت: إبراهيم ابن أبى يحى ضعيف جداً، كذبه جماعة من الحفاظ وكان معتزلياً جهمياً قدرياً، وقد أطال الذهبى فى ترجمته فى الميزان، وهو مع ضعفه حافظ كبير، وله موطأ أكبر من موطأ مالك بكثير،==

خوفنا يا كعب، وكذلك كان عبد الله بن الزبير يسمع من كعب أيضاً ويحدث عنه أما تحديث التابعين عن أهل الكتاب فكثير، وحصل بين الحافظ السخاوى والبرهان البقاعى نزاع فى جواز النقل من كتب الأناجيل ونحوها، وألف كل منهما فى ذلك بحسب رأيه، وأشار السخاوى إلى شىء من ذلك فى كتاب [الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التواريخ][1] وهو مطبوع .. والله أعلم .

****

٤١ ـ حديث: ليهبطن ابن مريم

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { لَيَهْبطَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَادِلاً وإمَاماً مُقْسِطاً وَلَيَسْلُكَنَّ فَجّاً حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً وَلَيأْتِينَّ قَبْرِى حَتىٰ يُسَلِّمَ عَلَىَّ وَلأَرُدَّنَّ عَلَيْهِ } يقول أبو هريرة: أىْ بَنِى أخِى إن رَأَيتمُوهُ فقولُوا أَبُو هُرَيرةِ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ[2] .

قولـه: { ليهبطن ابن مريم } أى: من السماء على منارة بيضاء شرقى دمشق بين ملكين، فيفك حصار الدجال عن فلسطين ويقتله، ويلقى الله الرعب فى قلوب اليهود من المسلمين فيقتلونهم، ويكون عيسى إذا ذاك حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً يحكم بالشريعة الإسلامية ويحيى ما أندسر منها، ويقاتل اليهود والنصارى على الإسلام ولا يقبل الجزية، ويكون حكمه بالكتاب والسنة، ولا يقلد أحداً من المذاهب خلافاً لما زعم بعض متهوس الحنفية: أنه يكون على مذهبهم، بل المذاهب فى وقته تبطل .

قولـه: { وليسلكن فجاً } ـ بفتح الفاء ـ طريقاً واسعاً أو اسم موضع فى طريق مكة حاجاً أو معتمراً، وليأتين قبرى حتى يسلم على تحقيقاً لتبعيته لى، وإتباعه لشريعتى، ولأردن عليه السلام. واللام فى { ليهبطن وليسلكن وليأتين ولأردن } تدل على قسم مقدر، أى: والله ليهبطن، والله ليسلكن، والله ليأتين، والله لأردن، فهذه الأفعال مؤكدة بشيئين القسم فى أولها، ونون التوكيد المشددة فى أخرها، وذلك غاية ما يطلب فى التوكيد كما لا يخفى، ويؤخذ من الحديث أمور:

الأول: فضيلة النبى ﷺ لكون عيسى ﷺ وهو رسول كريم من أولى العزم، ينزل تابعاً

== وقد روى عنه الشافعى ووثقه، وقال الربيع: إذا قال الشافعى: حدثنى من لا أتهم، أراد إبراهيم بن أبى يحى .

(١) وذكر فيه أنه ألف كتاباً أسماه [الأصل الأصيل فى تحريم النقل من التوراة والإنجيل] لكن لم يشر إلى ما حصل بينه وبين البقاعى .

(٢) رواه الحاكم وصححه، وسلمه الذهبى .

لـه وملـتزماً لشـريعته، قـال العـلماء: وللحكمة فى تخصيص نزوله: الرد على اليهود حيث زعموا أنهم قتلوه وصلبوه، وكذبوا فى زعمهم ذلك .

الـثانى: إثـبات نـزول عيسـى ﷺ، وهذا أمر تواترت به الأخبار عن النبى ﷺ، كما نـص عليـه الحفـاظ مـنهم: ابـن جرير الطبرى، وأبو الحسن الأثيرى، والقرطبى، وابن كثير، وابـن حجـر العسـقلانى، وغيرهـم[1] وجهـل الشـيخ محمـد عـبده هذا لكونه لا يعرف السنة، فـادعى أن حديـث نزول عيسى آحاد وأنكره بناء على ذلك حسبما نقله عنه تلميذه فى تفسير المـنار، وقلـده مبـتدعة الأزهر ومن على شاكلتهم مثل: المراغى وشلتوت وعبد الوهاب النجار، وقـد ألفـت كـتاباً أسميـته [إقامـة الـبرهان عـلى نزول عيسى ﷺ آخر الزمان] فضحت به جهـل شـلتوت فى فتوى له نشرها بمجلة الرسالة، وافق فيها القاديانيين الكفار، فلما رآه ولج فى العناد أردفته بكتاب آخر أسميته [إرغام المبتدع الجهول بإتباع سنة الرسول] .

الثالـث: اسـتحباب إتـيان قـبر النبى ﷺ لزيارته والسلام عليه، وهذا مما لا خلاف فيه، قال القاضى عياض، وزيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها ومرغب فيها . أهـ . بل ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة كما حكاه الشوكانى فى نيل

---

(١) وبيان ذلك: أنه رواه عن النبى ﷺ أبو هريرة، وحذيفة بن أسيد، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمـرو. وجابـر، ومجمـع بـن جاريـة، وعـثمان بـن أبـى العاص، وواثلة بن الأسقع، وابن مسعود، وحذيفـة بـن الـيمان، وعائشـة، وأنـس، وغيرهـم مـن الصحابة، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين تابعياً مـنهم: سـعيد بـن المسيب، وسعيد بن ميناء، وعطاء بن ميناء، وجبير بن نفير، ويعقوب بن عاصم، وأبو الزبير، وأبو نضرة، ومؤثر بن عفازة، وربعى بن حراسن، والحسن البصرى، وطاوس، وعلقمة، وأبو قلابة، وأبو صالح، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين أيضاً منهم: الزهرى، وقتادة، والمقبرى، وهشام ابـن عـروة، وسـليم بـن حـيان، وفـرات القـزاز، وعلى بن زيد، وابن جريج، وأبو حازم الأشجعى، وأيـوب السـختيانى، وسعيد بن خثيم، ورواه عن هؤلاء نحو خمسة وثلاثون شخصاً منهم: سفيان بن عينـية. والليـث إمـام أهـل مصـر، والأوزاعـى إمام أهل الشام، وأبو داود الطيالسى صاحب المسند، وشـعبة أمـير المؤمـنين فى الحديث، ومعمر صاحب الجامع، ويحى بن جابر الطائى قاضى حمص، وعاصـم أحـد أئمـة القـراء، وأبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، ورواه عن هؤلاء خلق كثير يبلغون نحو أربعـين شخصـاً مـنهم: عـبد الـرازق صاحب المصنف، وعلى بن المدينى الإمام العلم شيخ البخارى، وقتيـبة بـن سـعيد، وروح، ويـزيد بـن هارون، وبشر بن معاذ، ومعاذ العنبرى، وغندر، وحجاج بن الشاعر، وهؤلاء كلهم أئمة مشاهير، ثم رواه عن هؤلاء وغيرهم أصحاب الكتب المعتبرة فى الحديث، ودونـوه فـى كتـبهم مثل: أحمد والبخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابـن خـزيمه، وابن حبان، والدارقطنى، والحاكم، والبيهقى، والطحاوى، والطبرانى، وغيرهم ممن لا يكـادون يحصون، فهذا تواتر على جميع الاصطلاحات المقررة فى علم الأصول، ولكن أتى لمحمد عـبده ومقلديـه أن يعرفوا هذا وهم أبعد الناس عن علم السنة وأنواعها، وليتهم إذا جهلوا سكتوا فقد كان السكوت أستر لحالهم، ولكن قاتل الله حب الظهور، فإنه قاصم للظهور، كما قال الصوفية .

الأوطار، والذى صرح بالوجوب من المالكية أبو عمران الفاسى .

قال الحافظ عبد الحق الأشبيلى المالكى فى كتاب [تهذيب الطالب] يريد أنها واجبة وجوب السنن المؤكدة .. أهـ .

وقالت الحنفية: أنها قريبة من الواجبات حكاه الشوكانى أيضاً وحكى ابن هبيرة اتفاق الأئمة على استحبابها وشد بلال المؤذن الرحلة من الشام إلى المدينة بقصد الزيارة كما رواه ابن عساكر بإسناد جيد وإن حاول ابن عبد الهادى تضعيفه تعصباً لرأى ابن تيميه الذى خالف الإجماع بإنكاره مشروعية الزيارة الشريفة، وزعم أن السفر إليها معصية، لا تقتصر فيه الصلاة، ورد عليه العلماء قولَه هذا وبدْعوة، وأفرد التقى السبكى فى الرد عليه كتاباً خاصاً سماه [شفاء السقام بزيارة خير الأنام] وهو مطبوع، وليس لأبن تيميه حجة فيما زعم إلا حديث الصحيحين { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد } ولكن القصد فى الحديث إضافى باعتبار المساجد لا حقيقى، بدليل ما ثبت بإسناد حسن، كما قال الحافظ { لا ينبغى للمطى أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى }[1] فالزيارة وغيرها خارجة عن النهى كما ترى والأحاديث تفسر بعضها بعضاً والجمع بينها واجب، وإلغاء أحدها بغير دليل حرام كما نبهنا عليه فيما مر، وانظر الشفاء للقاضى عياض وشروحها، والمواهب اللدنية، ونيل الأوطار للشوكانى وغيرها .

تنبيه: قال العلامة قلبه أنه حاضر بين يديه، مستشفع به إلى من مَنّ به عليه .. أهـ . وهذه ابن الحاج فى المدخل: من لم يقدر له زيارته ﷺ بجسمه فلينوها كل وقت

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند عن مشهر بن حوشب، قال: سمعت أبا سعيد الخدرى - وذكر عنده صلاة فى الطور - فقال: قال رسول الله ﷺ { لا ينبغي للمطى } الخ . وحسنه الحافظ الهيثمى أيضاً فى كتاب [مجمع الزوائد] وهو كما ترى صريح فى أن النهى عن شد الرحال للمساجد لأجل الصلاة لا لشىء أخر، لأن المساجد متماثلة لا فضل فيها لمسجد على آخر، إلا المساجد الثلاثة، ويؤيده ما رواه أحمد أيضاً بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمى عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: لقى أبو بصرة الغفارى أبا هريرة وهو آت من الطور فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الطور صليت فيه، قال: لو أدركتك قبل أن ترحل ما رحلت إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى } وروى الطبرانى عن الأرقم - وكان بدرياً - قال: جئت رسول الله ﷺ لأودعه، وأردت الخروج إلى بيت المقدس، فقال لى { إين تريد؟} قلت: أريد بيت المقدس، قال { وما يخرجك إليه؟ أفى تجارة؟ } قلت: لا ولكنى أصلى فيه، فقال رسول الله ﷺ { صلاة هاهنا - يعنى فى مكة - خير من ألف صلاة ثم } قال الحافظ الهيثمى: رجاله ثقات، ورواه أحمد أيضاً بإسناد فيه يحى بن عمران، قال أبو حاتم: مجهول، ووثقه ابن حبان، وهذا حديث يفيد أن السفر بغرض غير الصلاة كالتجارة غير محظور .

بقلبه، وليحضر زيارة روحية حضورية لا ينالها إلا من له مزيد تعلق واختصاص بالجناب النبوى الشريف، حققنا الله بهذا المقام بمنه وفضله .

الرابع: أنه ﷺ حيٌّ فى قبره الشريف، وقدمنا أنه هذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع، وقطعنا على الوهابية طريق الزيغ والابتداع، فإن قيل: قد قال الله تعالى خطاباً لنبيه ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾(الزمر: ٣٠) وقال ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾(الأنبياء: ٣٤) قلنا: وقد قال تعالى ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ ﴾(البقرة: ١٥٤) وقال تعالى ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(آل عمران: ١٦٩) والنبى ﷺ جمع الله له بين درجتى النبوة والشهادة، فإنه مات شهيداً من أثر أكلة خيبر، كما جاء فى الصحيح، وأما حديث أبى هريرة { ما من أحد يسلم على إلا رد الله إلى روحى حتى أرد عليه السلام } رواه أبى أحمد وأبو داود ـ فهو مع كونه ليس فى قوة الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء ـ مجاب عنه بثلاثة عشر جواباً، سردها الحافظ السيوطى فى كتاب [إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء] وهو مطبوع ضمن كتاب [الحاوى للفتاوى] بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحديث يدل على دوام حياته بطريق بليغ كما بينته فى كتاب [الرد المحكم المتين] مع ذكر بعض الأجوبة للبيهقى والسبكى .. فليراجع .

الخامس: يؤخذ من قول أبى هريرة: إن رأيتموه .. الخ، ما كان عليه الصحابة من قوة الإيمان وشدة التصديق بما يسمعون من النبى ﷺ، ولهم فى هذا الباب آثار وأصول تزيد فى إيمان سامعها، وتقوى يقينه، وبذلك فازوا أو ربحوا وحازوا العز والتمكين فى الدنيا مع ما أدخر لهم من عظيم المثوبة فى الآخرة، رضى الله عنهم وأرضاهم، وحشرنا فى زمرتهم تحت لواء نبينا ﷺ والحمد لله رب العالمين .

****

٤٢ ـ حديث: كان النبى ﷺ أحسن الناس

عن أبى هريرة قال: { كَانَ النبيُّ ﷺ أَحْسَنَ الناسِ كَانَ رَبْعَةً وهُو إلى الطُّول أقْرَبُ بَعِيدُ مَا بينَ المَنْكبَيْنِ أسِيلُ الخَدَّيْنِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ أكحَلَ العَيْنَيْنِ أهْدَبُ إذا وَطِئ بقَدَمِه وَطِئَ بكلِّها لَيْسَ لَهُ أَخْمصٌ إذا وَضَعَ رداءَهُ عَن مَنكِبَيْه فكَأنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَةٍ وَإذا ضَحِكَ تَتَلألأُ فِى الجُدُرِ لَمْ أرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدُه مِثْلَهُ } رواه البزار والبيهقى .

ولابن سعد وأحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال: { مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِن رسُول الله ﷺ كأن الشمسَ تجرى في وَجْهِهِ وما رأيتُ أحداً أسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنهُ كَأنَّ الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ إنَّا لَنَجْهَدُ وإنَّهُ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ } .

قولـه: { كان النبى ﷺ أحسن الناس } أى: خلقاً ـ بفتح الخاء ـ وخلقاً ـ بضمها ـ وفـى حديث البراء فى صحيح البخارى: :إن أحسن الناس وجهاً وأحسنه خلقاً ـ أى: بفتح الخاء ـ وقيل: بضمها .

قولـه: { كـان ربعـة } اتفقت الروايات على ذلك فى الصحيحين وغيرهما، والربعة ـ بفتح الراء وسكون الموحدة ـ الوسط بين الطول والقصر. وكذلك جاء مفسراً فى حديث أنس والبراء وغيرهما .

قولـه: { وهـو إلى الطـول أقرب } أى: يقرب من الطول قليلاً، ولكن ليس بالطويل البائن كما سيأتى .

قولـه: { بعيد مـا بـين المنكـبين } أى: عريض أعلى الظهر، زاد فى حديث أبى هريرة أيضاً عند أبى سعد: رحب الصدر، أى: واسعة .

قولَه: { أسيل الخدين } بفتح الهمزة وكسر السين أى لين الخدين مع طول فيهما.

قولَه: { أهدب } أى: طويل الأشفار .

قولـه: { إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص } الأخمص: ما خل من باطن القـدم، فـلم يصـب الأرض. والمعـنى: أن فـى قدمه الشريفة خمصاً يسيراً، بحيث لم يرتفع عن الأرض جداً، ولم يستو أسفل القدم، وهذا أحسن ما يكون كما قال ابن الأعرابى: وبهذا يجمـع بـين روايـات مـن أثبـت الأخمـص ومـن نفاهـا، فمـن أثبـت أراد الخموصة اليسيرة المعتدلة، ومن نفى أراد الخموصة الشديدة .

قولـه: { إذا وضـع ردائـه عـن منكبـيه فكأنـه سـبيكة فضة } وفى حديث محرش الكعـبى قـال: اعـتمر النـبى ﷺ من الجعرانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، رواه أحمـد والبـيهقى، وفـى حديـث أبـى هريـرة عـند الترمـذى والبـيهقى: كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صيغ من فضة ومعنى هذه الروايات ظاهر .

قولـه: { وإذا ضـحك يـتلألأ فى الجدر } أى: يظهر من أثر ضحكه إشراق ينعكس عـلى الحـيطان، كمـا يـنعكس نور الشمس فى المرآة، ومن هذا الحديث أخذ شقيقنا الحافظ

أبـو الفـيض ـ رحمـه الله ـ اسم كتابه [بوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة] جمع فيه الأحاديث التى ورد فيها أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وهو مطبوع[١] .

وفـى صـحيح الـبخارى عـن كعـب بـن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهـه كأنـه قطعـة قمـر، وكـنا نعـرف ذلك منه، وفيه أيضاً عن عائشة: أن رسول الله ﷺ دخـل علـيها مسـروراً تبرق أسارير وجهه، ووقع فى حديث جبير بن مطعم عند الطبرانى: التفت إلينا النبى ﷺ بوجهه مثل شقة القمر .

قولـه: لم أر قـبله ولا بعـده مـثله، إذا لـيس فى الناس من يماثله ﷺ، فهو كما قال الإمام البوصيرى:

منزه عن شريك فى محاسنه   فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقال آخر:

وأجمل منك لم تر قط عينى   وأكمل منك لم تلد النساء

خلـقت مبرءاً من كل عيب   كأنك خلقـت كما تشاء

قولـه: رواه الـبزار والبـيهقى، ورواه أيضاً الدهلى فى الزهريات، ويعقوب بن سفيان الفسوى فى تاريخه وغيرهما، وإسناد الحديث حسن .. والله أعلم .

قولـه: فى الرواية الثانية: كأن الشمس تجرى فى وجهه، قال الطيبى: شبه جريان الشـمس فـى فلكهـا بجـريان الحسن فـى وجهـه ﷺ، وفيه عكس التشبيه للمبالغة، قال: ويحـتمل أن يكـون مـن بـاب تناهى التشبيه، جعل وجهه مقراً ومكاناً للشمس، وفى تاريخ يعقـوب بـن سـفيان مـن طـريق يونـس بن أبى يعفور عن أبى إسحاق السبيعى عن امرأة من همـدان قالـت: حججت مع رسول الله ﷺ، فقلت لها شبهيه، قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله .

وروى الدارمـى والطـبرانى وأبـو نعـيم عن أبى عبيده، قال: قلت للرُبيع ـ بضم الراء وكسـر الـياء المشـددة ـ بنت مُعوذ ـ بضم الميم وكسر الواو المشددة ـ: صفى لى رسول الله ﷺ؟ قالـت: لـو رأيـته لرأيـت الشمس طالعة، وسئل البراء ابن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مـثل السـيف؟ قـال: لا .. بـل مـثل القمر، رواه البخارى . وفى صحيح مسلم عن جابر بن

---

(١) ضمن كتاب الاستعاذة والحسبلة ـ الناشر مكتبة القاهرة .

سمرة: أن رجلاً قال لـه: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ - أى فى الطول واللمعان - قـال: لا .. بـل مـثل الشـمس والقمـر مسـتديراً . ولا تتنافى بين هذا وبين الرواية السابقة: أسيل الخدين، لأن المراد بها طول خفيف لا يمنع الاستدارة .

قولَه: { كأن الأرض تطوى له } الخ، هذا بيان لسرعة مشيته، ولابن سعد عن أبى هريـرة قـال: كنت مع رسول الله ﷺ فى جنازة فكنت إذا مشيت سبقنى، فالتفت إلى رجل مـن جنـبى فقلـت: تطـوى لــه الأرض، وخلـيل الله إبراهيم، وسرعة المشى تدل على شدة الحزم وقوة العزيمة، بخلاف المشى الضعيف فإنه يدل على التخاذل وخور العزيمة .

وقولهم: سرعة المشئ تذهب بها بهاء المراء، ليس بحديث .. والله أعلم .

****

٤٣ - حديث: وصف رسول الله ﷺ

عـن عمر بن عبد الله مولى غُفْيرة قال: حدثنى إبراهيم بن محمد من ولد على بن أبى طالـب قـال: كـان عـلى عليه السلام إذا وصـف رسـول الله ﷺ قـال: ((لم يكـن رسـول الله ﷺ بـالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعداً رجلاً ولم يكن بالمطهم، ولا بالمكلثم، وكان فى وجهه تدوير، أبيض مشرب أدعج العيـنين، أهـدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد ذو مسربة، ششن الكفين والقدمين، إذا مشـى تقلع، كأنما ينحط فى صبب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خـاتم النبـيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، مـن رآه بديهـة هابـه، ومن خالطه فعرفه أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله)) . رواه الترمذى فى السنن والشمائل وغيره .. والله أعلم .

قولـه: (غُفْـرة) بضـم الغـين المعجمـه وسكون الفاء - ويقال غفيرة بالتصغير وهى بنـت رباح وأخت بلال المؤذن، وأخيه خالد، قال البخارى: هم أخوان وأخت ومولاها عمر بـن عـبد الله مدنـى يكـنى: أبا حفص، روى لـه أبو داود والترمذى، وفيه ضعف، وشيخه إبراهـيم بـن محمـد بـن الحنفية ثقة من رجال الترمذى وابن ماجة، ولكن روايته عن جده عـلى عليه السلام مرسـلة فيما ذكر أبو زرعة الرازى، وهذا لا يضر هنا، لأن وصف على للنبى ﷺ تلقـاه الحسـن والحسـين ومحمد بن الحنفية عن أبيهم عليهم السلام، ولقنوه لأولادهم وأهل بيتهم فهو من أقوى الموصولات، كما لا يخفى على أن معناه وارد فى عدة أحاديث .

قولـه: (المُمَغِـط) بضـم المـيم الأولى وفـتح الميم الثانية المشددة وكسر الغين المخففة ـ اسم فـاعل هـو المتـناهي الطـول، فهـو بمعـنى الـبائن فـي الرواية الأخرى، وهو الذى فارق غيره في الطـول وظهـر علـيه، وقيل المُمَغَّط ـ بفتح الميم الثانية وتخفيفها وتشديد الغين المعجمه المفتوحة ـ اسـم مفعـول مـن التمغـيط، وأصله من مغط الحبل إذا مده، والمقصود: أنه لم يكن بالطويل البائن الطـول ولا بالقصـير المتردد ـ بكسر الدال الأولى المشددة ـ أى: المتناهي في القصر، كان رد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاؤه، قاله ابن الأثير، وكان ربعة من القوم تقدم شرحه .

وروى ابـن أبـى خيثمة والبيهقي عن عائشة قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الـبائن ولا بالقصـير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال بما شـبه أحـد مـن الـناس ينسـب إلى الطـول إلا طالـه رسـول الله ﷺ، ولـربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول، ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة) .

قولـه: (لم يكن بالجعد القطط) بفتح القاف وكسر الطاء الأولى، وقد تفتح ولا بالسبط بفـتح أولـه وكسـر الموحـدة، والجعـودة فـي الشـعر إلا يتكسـر ولا يسترسـل، والقطط شدة الجعودة، والسبوطة في الشعر ضد الجعودة، وهو الامتداد الذى ليس فيه تعقد ولا نتوء .

والمـراد: أن شـعره ﷺ وسـط بـين الجعودة والسبوطة، ولهذا قال: كان جعدا رجلا ـ بفـتح الـراء وكسـر الجيم، وقد تسكن وتفتح، يعنى ليس شديد الجعودة ولا سبطاً فهو وسط بيـنهما، ولم يكـن بـالمطهم ـ بفـتح الهاء المشددة ـ هو البادن الكثير اللحم المنتفخ الوجه من السـمن، ولا بالمُكَلْـثَم ـ بضـم الميم الأولى وفـتح الكاف والثاء المثلثة بينهما لام ساكنة ـ أى: المـدور الوجـه، ولـذا قـال: وكـان فـي وجهـه تدوير، فهذه الجملة بيان لقوله ولا بالمكلثم، والمعـنى: أن وجهـه الشـريف كـان وسـطاً بين التدوير والإسالة، ويعبر عن ذلك بالسـهولة، وهذا أحسن عند العرب وأحلى .

قولـه: (أبـيض) بالـرفع خـبر مبـتدأ محذوف ـ أى: هو أبيض مشرب ـ بضم الميم وسـكون الشـين وفـتح الـراء المخففـة أو بفتح الشين وتشديد الراء المفتوحة ـ روايتان معناهما واحـد ، أى: مخلـوط بحمـرة، كمـا جـاء فـي حديـث علـى أيضـاً عـند سـعيد بـن منصور والطيالسى والحاكم، قال: كان النبى ﷺ أبيض مشرباً بياضه بحمرة .

وفـي حديـث أنـس عـند الـبخارى: أزهـر اللون لـيس بأبـيض أمهـق، أى: شـديد البـياض، لأنـه مذمـوم عـند العرب، فمن أثبت البياض للنبى ﷺ أراد به المشوب بالحمرة،

وهـو اللون الأزهر المدوح، وربما سموه أسمر كما قال أنس: كان النبى ﷺ أسمر، رواه أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح وصححه أبن حبان، ومن نفى البياض أراد البياض الشديد الذى يسمى مهقاً وصاحبه أمهق، وهو مذموم وبهذا تتفق الروايات .

قولَه: (أدعج العينين) أى: شديد سواد الحدقة مع سعة العين، كما فى الصحاح

قولـه: (أهدب الأشفار) جمع شفر - بضم الشين، وقد تفتح - وهى حروف الأجفان الـتى ينبـت علـيها الشـعر والأهدب - بالدال المهملة - من طال شعر أجفانه، والمعنى ظاهر، وروى ابـن سـعد والحـرث ابن أبى أسامة عن ابن عباس وغيره: أن الصبيان كانوا يصبحون شعثا رمصا ويصبح رسول الله ﷺ - وهو صبى - دهيناً كحيلاً .

قولـه: (جلـيل) أى: عظـيم المُشـاس - بضـم المـيم وتخفـيف الشين المعجمه - رؤوس العظـام كالمـرفقين والركبـتين، والكـتد - بفـتح الكـاف والـتاء وقـد تكسر - مجتمع الكتفين، والمعنى: أنه عظيم رؤوس العظام، عظيم مجتمع الكتفين، وذلك يدل على القوة والشجاع

قولـه: (أجـرد) أى: غـير أشـعر، أى: لم يكـن عـلى جسمه شعر كثير، فهو ذو مَسْرُبة - بفـتح المـيم وسـكون السـين المهملـة وضـم الـراء - وهـو شـعر دقـيق بـين الصدر والسرة، وفى رواية البـيهقى: لـه شـعرات مـن سرته تجـرى كالقضـيب لـيس عـلى صـدره ولا بطـنه غيرهـا، وروى الطيالسـى والطـبرانى عن أم هاني: ما رأيت رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعـض، شَـثْن - بفـتح الشـين المعجمـه وسـكون الـثاء المثلثة، وقد يقال شتن - بالتاء المثناة - يعنى: غليظ الكفين والقدمين، من غير قصر ولا خشونة، لما ورد أنه كان سائل الأطراف لين الكف .

قـال المناوى: ولما فسر الأصمعى الشثن فى الحديث بالغلظ مع الخشونة، أورد عليه: أنـه ورد فـى صـفته أنـه لـين الكـف، فحلـف ألا يفسر شيئاً فى الحديث .. أهـ . وتفسير الحديـث لا يكفـى فـيه معـرفة اللغة، بل لابد من جمع الطرق والروايات وغير ذلك مما هو مبسوط فى موضعه .

قولـه: (إذا مشـى تقلـع) يعنى مشى بقوة، ورفع برجليه رفعاً بائناً متداركاً إحداهما بالأخرى كأنه يمشى مشى الفلعة بالتحريك، وهى القطعة العظيمة من السحاب .

قولـه: (كأنمـا ينحط فى صَبَب) بيان لقوله تقلع، والصَبَب - بفتح الصاد والباء الأولى - الحدو، ضد الصعود والمعنى ظاهر .

قولـه: (وإذا التفت التفت معاً) أى: جميعاً، أى: إذا ألتفت إلى إنسان لكلام أو غيره

التفت إليه بكله، وأقبل عليه بكليته، ولا يلتفت إليه بلى لعنق كفعل المختالين المتكبرين .

قولـه: (بين كتفيه خاتم النبوة) بكسر التاء، أشهر وأفصح من فتحها ـ والمراد به آثر بـين كتفيه، نعت به فى الكتب السابقة، وكان علامة عندهم على أنه النبى الموعود، حتى لا يشتبهوا فـى أمـره، وأختلفت الـروايات فـى وصـف هـذا الخـاتم قـدراً وشـكلاً ولونـاً، واستوعبها الحـافظ قطب الدين الحلبى فى شرح السيرة وتبعه العلامة مغلطاى فى [الزهر الباسـم] ونحن نشير إليها بحول الله، ففى الصحيحين عن السائب بن يزيد قال: ((قمت خلف ظهر النبى ﷺ فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة)) .

وفـى صـحيح مسـلم عـن جابـر بـن سمرة قال: ((رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده)) .

وفـى روايـة الترمذى: ((غدة حمراء مثل بيضة الحمامة))، وفى صحيح مسلم عن عبد الله بـن سـرجس قال: ((نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمـثال الثآلـيل)) الـنغض ـ بضم النون وسكون الغين المعجمه ـ فرع الكتف، والجمع ـ بضم الجيم وسكون الميم ـ الكف إذا جمع، والخيلان: الشامات السود، والثآليل: حبوب تعلو ظاهر الجسد .

ولأحمـد والبـيهقى عـن أبـى رمـثة قـال: ((انطلقت مع أبى إلى النبى ﷺ فنظرت إلى مثل السـلعة بين كتفيه)) وفى رواية لأبى سعيد ((مثل التفاحة)) وللبخارى فى التاريخ عن أبى سعيد قـال: ((الهـتم الذى بين كتفى النبى ﷺ لحم ناتئه)) وفى رواية الترمذى ((كان فى ظهره بضعة ناشـزة)) وفـى روايـة أحمـد: ((لحـم ناشز بين كتفيه))، وفى حديث ابن عمر عند ابن حبان: ((مثل البندقة من اللحم))، وفى حديث أبى زيد بن أخطب عند الطبرانى: ((محجمة ناتئة)) .

قـال العـلماء: اختلفت أقوال الرواة فى خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف حقيقة، بل كـل واحـد شـبه بمـا عرض له، قال القرطبى فى شرح مسلم: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خـاتم الـنبوة كـان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر، قدرة إذا اقلل قدر بيض الحمامة، وإذا أكـبر جمـع الـيد، قـال السـهيلى: والصـحيح أنـه كـان عـند نغض كتفه الأيسر، لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع منه دخوله .. أهـ .

وقـد روى ابـن عبد البر بسند قوى كما قال الحافظ عن ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز: أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان فى صورة ضفدع عند نغـض كتفه الأيسر حذاء قلبه لـه خرطوم كالبعوضة، وله شاهد مرفوع من حديث أنس{ أن

الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم } الحديث، رواه أبو يعلى وغيره، والصحيح أن الخاتم كان عند شق صدره الشريف، كما قال عياض: ولم يولد به من قبل .. والله أعلم .

قولـه: (وهو خاتم النبيين جملة) متممة لما قبلها، فهو خاتم نبوة الأنبياء لا نبى بعده، قال المناوى وابن سلطان وغيرهما من شراح الشمائل: لا ينافى هذا نزول عيسى عليه السلام لأنه إنما ينزل متابعاً لشريعته مستمداً من القرآن والسنة .. أهـ .

قولـه: (أجود الناس صدراً) أى: أرحبهم صدراً وأكرمهم قلباً فلا يمل من الناس، ولا يضجر منهم، على اختلاف طبائعهم وأمزجتهم، بل يخاطب كلا منهم على قدر منزلته، ويبذل لهم ما يسألونه من رغد وعطاء، ويعلمهم مما علمه الله مبتدئاً تارة ومجيباً تارة أخرى، وتقدم شىء من جوده وسعة صدره فى شرح الحديث الثلاثين .

قولـه: (وأصدق الناس لهجة) عرف بهذا منذ طفولته، حتى كان يدعى بين قومه بالأمين، فهو ﷺ أصدق الناس لساناً وأفصحهم بياناً .

قولـه: (وألينهم عريكة) أى: أسهلهم طبيعة لوفور حلمه وكثرة تواضعه، وخفض جناحه للفقير والمسكين، وفرط شفقته على اليتيم والمحروم .

قولـه: (وأكرمهم عشرة) بكسر العين وسكون الشين، اسم من المعاشرة وهى المصاحبة فمصاحبته ﷺ أكرم مصاحبة، لأنه أشد الناس وفاء، وأكثرهم عن الزلات إغضاء، يرعى حقوق المعاشرة، ويراعى روابط المودة يكون مع أصحابه كأحدهم، لا يتميز عنهم بشىء، ولا يشق عليهم فى شىء، وفى رواية (وأكرمهم عشيرة) أى: قبيلة، وهى صحيحة أيضاً، فإن قبيلته أكرم القبائل، ونسبه أشرف الأنساب، كما تقدم فى شرح الحديث الرابع والسابع .

قولـه: (من رآه) رؤية بديهة فجأة من غير سابق مخالطة ومعرفة، هابه لما عليه من المهابة الإلهية، لأن قلبه الشريف ممتلىء بعظمة مولاه ومحبته وإجلاله وذلك يورث المهابة المذكورة، ومن خالطه وعاشره فعرفه، أى: عرف أخلاقه العظيمة، أحبه حباً شديداً حتى يقدمه على أهله ونفسه، ويبذل كل شىء فى سبيل طاعته ورضاه، كما كان الصحابة يفعلون فإنهم كانوا يبذلون أنفسهم دونه[1] ويعاودون - بل يقتلون - آباءهم وأبنائهم

---

(١) وهذا واجب على كل مسلم بنص القرآن، قال الله تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٦) وقال سبحانه ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾(التوبة: ١٢٠) .

وعشيرتهم، دفاعاً عنه، وحفظاً لحرمته، فمدحهم الله على ذلك ووصفهم بالإيمان .

يقول: ناعته، أى: وصفه إذا أراد الإجمال فى نعته، لأن التفصيل غير متيسر لم أر قبله ولا بعده مثله، لأنه جمع بين حسن الجمال، ووقار الجلال، وبلغ الغاية فى خصال الكمال، فهو كما قال البوصيرى رحمه الله:

منزه عن شريك فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم[1].

قال الحافظ أبو نعيم: وقد اختلفت ألفاظ الصحابة فى نعته وصفاته، وذلك لما ركب فى الصدور من جلالته وحلاوته وعظيم مهابته وطلاوته، ولما جعل فى جسده الشريف من النور الذى يتلألأ ويغلب على بشرته، فأعياهم ضبط صفته، ونعت حليته حتى قال بعضهم: كان مثل الشمس طالعة، وقال بعضهم: كان يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر، وقال بعضهم: لم آر قبله ولا بعده مثله، فلذلك السبب كان اختلافهم فى وصف خلقته أهـ .

وإلى هنا تم هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى، وقد رأينا أن نختمه بحديث جامع فى صفاته وشمائله ﷺ فنقول:

أنبأنا سعيد بن أحمد الغراء الدمشقى، أنا علاء الدين بن محمد بن عمر الحسينى، أنا أبى أنا محمد بن عبد الرحمن الكزبرى، أنا أبى أنا أبو المواهب الحنبلى أنا أبى أنا الشمس محمد بن عبد الله الأنصارى، أنا محمد بن خليل اليشبكى أنا أبو الفضل الحافظ. أنا أبو اسحق التنوخى: أنا محمد بن جابر بن محمد الواد آشىء أخبرنا أبو المواهب ربيع ابن أبى عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع أنا الحسن بن على الغافقى (ح) وقال التنوخى: أنا يحيى بن محمد بن سعد كتابة، أنا أبو جعفر أحمد بن على بن حكم (ح) وأنبأنا محمد بن إبراهيم السقا أنا أبى أنا ثعيلب أنا الشهاب الملوى، أنا عبد الله بن سالم البصرى. أنا محمد البابلى، أنا سالم بن محمد، أنا النجم الغيطى أنا القاضى زكريا الأنصارى، أنا الشمس محمد بن على القاياتى، أنا السراج عمر بن على بن الملقن الأنصارى، أخبرنا أبو الفتوح يوسف بن محمد الدلاصى، أنا التقى أبو الحسن يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيث اللواتى. أنا أبو الحسن يحيى ابن محمد بن على الأنصارى المعروف بابن الصّائغ، قال هو والغافقى وأبو جعفر ابن حكم: أخبرنا عياض بن موسى الحافظ قال: حدثنا القاضى أبو على الحسين ابن

---

(١) وقال آخر:

كشف الدجى بجماله بلغ العلا بكماله
حسنت جميع خصاله صلوا عليه وآله

محمد الحافظ بقراءتي عليه، حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد ابن عبد الله ابن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الحسن المحمدي والقاضي أبو على الحسن بن على بن جعفر الوخشي قالوا: حدثنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي. أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ، قال: حدثنا سفيان بن وكيع، ثنا جميع - بالتصغير - بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابة؛ قال: حدثني رجل من بن تميم، من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن أبن لأبي هالة عن الحسن بن على بم أبي طالب ﷺ. قال: سالت خالي هنداً ابن أبي هالة (ح) قال القاضي أبو على: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد ابن خذاداد الكرجي الباقلاني، وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، قالا: حدثنا أبو على الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقربه: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين ابن على بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال حدثنا إسماعيل ابن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، قال: حدثني على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين، قال: الحسن بن على - واللفظ لهذا السند -: سألت خالي هنداً بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً وأنا ارجوا أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به قال: ((كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، واقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، وإن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا، يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون. واسع الجبين. أزج الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صف الفضة، معتدل الخلق، بادنا متماسكاً سواء البطن والصدر، مشج الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط، عارى الثديين ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالى الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، ششن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، أو قال: سائن الأطراف، وسائر الأطراف، سبط العصب،

خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال، زال تقلعا، ويخطو تكفؤا، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام، قلت: صف لى منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم، فصلا لا فصول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافى، ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، ولا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقا، ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار، أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام)) .

قال الحسن: فكتمتها عن الحسين بن على زماناً، ثم حدثته، فوجدته قد سبقنى إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه ومجلسه وسكوته؟ فلم يدع منه شيئاً .

قال الحسين: سألت أبى عن دخول رسول الله ﷺ؟ فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له فى ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزء جزئه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقيمته على قدر فضلهم فى الدين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم واخبارهم الذى ينبغى لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبتّ الله قدميه على الصراط يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره :

قال فى حديث سفيان بن وكيع: يدخلون رواداً، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة يعنى فقهاء، قلت: فأخبرنى عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما فى الناس، ويحسّن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر

غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده؛ أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة، أحسنهم مواساة ومؤازرة .

فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن ايطانها وإذا انتهى إلى قوم، جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جليسه أن أحد أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاومه لحاجة، صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى، وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته - وهذه الكلمة من غير الروايتين - يتعاطفون بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويرحمون الغريب، فسألته عن سيرته ﷺ في جلسائه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه، وقد ترك نفسه من ثلاث: (الرياء والإكثار وما لا يعنيه) وترك الناس من ثلاث: (كان لا يذم أحد ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه) . إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنه الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه، فيقطعه بانتهاء أو قيام - هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر: قلت: كيف كان سكوته ﷺ؟ قال: كان سكوته على أربع على (الحلم والحذر والتقدير والتفكر)، فأما تقديره (ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس) وأما تفكيره (ففيما يبقى ولا يغني وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه) وجمع له في الحذر أربع: (أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاد الرأي بما يصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة) .

وهكذا رويناه فى الشفاء من طريق الترمذى فى الشمائل، والحافظ أبى على ابن شاذان المتوفى ببغداد سنة ٤٢٦ هـ وأخرجه أيضاً ابن سعد فى الطبقات والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل، ومعانيه واردة فى جملة أحاديث فى الصحاح والسنن وغيرها وشرحه مستوفى فى روح الشمائل وشروح الشفاء وغيرها .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد سيد المرسلين، خاتم النبيين، وعلى آله الطاهرين وخيار صحابته من الأنصار والمهاجرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب

(أفضل مقول فى مناقب أفضل رسول ﷺ)

الناشر

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ ش الصنادقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠

ص . ب ٩٤٦ العتبة ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

المعارف الذوقية فى الوظيفة الصديقية

اللهم صلى وسلم بفيض جودك الواسع المدود . على قطب الوجود، وعين أعيان دائرة الشهود، المتوج بتاج ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾(الأحزاب:٤٥-٤٦) من منه انشقت الأسرار المودعة فى نور روحانيته الموصوفة بكنت نبياً وآدم بين الروح والجسد، واتعلقت الأنوار المشعة من ذاته على عالم الكون تهديه إلى الأبد، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ﴾(المائدة:١٥-١٦) وفيه ارتفعت الحقائق المكنة الكامنة فى عالم الثبوت، لأنه الإنسان الكامل الصفات والنعوت، وتنزلت علوم آدم بتجلى وعلمك ما لم تكن تعلم ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾(النساء:١١٣) فأعجز الخلائق بلوغ مراده، كيف ولواء الحمد بيده تحته آدم ومن عداه وله تضاءلت الفهوم فى سائر العلوم، بإفاضة رأيت ربى فى أحسن صورة، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها فى نحرى، فتجلى لى كل شيء وعرفت، فلم يدركه منا سابق باجتهاد الأعمال، ولا لا حق أدركه فيض النوال، فرياض الملكوت بزهر جماله السارى فى عالم الوجود مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره المتلألئة فى عالم الشهود متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط، فى كل عروج وهبوط، إذ لولا الواسطة فى وصول الإمداد وحصول الإسعاد، لذهب كما قيل الموسوط، بدليل إنما أنا قاسم والله يعطى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾(النساء:٦٤) صلاة كاملة تليق بك من حيث ألوهيتك. صادرة من حيث ربوبيتك، تزجى إليك تكريماً لقدره العظيم، مصحوباً بخلعة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(التوبة:١٢٨) وسلاماً تاماً يتنزل فى معارج القدس، على بساط الأنس، يليق به كما هو أهله، اللهم إنه سرك الجامع لجميع الكمالات الإنسانية، المذكى من حضرتك العالية، بصفة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم:٤) الدال بجميع الحالات عليك، المؤيد منك بشهادة والله يعلم إنك لرسوله، من يطع الرسول فقد أطاع الله، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾(آل عمران:٣١) وحجابك الأعظم القائم لك بتمام العبودية، شكراً على ما أوليته من رفيع الرتبة وعظيم المنزلة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾(الفتح:١-٣) الخاضع بين يديك لمقام الربوبية، الذى شرفته فى مقام القرب بشرف ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي

أسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾(الإسراء:١) ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾(النجم:١٠) اللهم إلحقنى فى الباطن ونفس الأمر بنسبة الجسمانى إلحاقاً يجبر ما نقص من رواتب الأعمال، ويصل ما انقطع من واردات الأحوال، حتى اسعد بالاندراج فى عموم قضية كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى، وحقيقتى فى نفسى وحالى ووجدانى، بحسبه الروحانى ، تحقيقاً يقع منى حظ الشيطان، ويدخلنى فى زمرة ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾(الحجر:٤٢) وعرفنى إياه معرفة كاشفة لفضائله وفواصله، أسلم بها من موارد الجهل بك وبه: فى مخارج الأمر ومداخله، وأكرع بها من موارد الفضل الواصل منك إليه، وأنهل من عين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(الأنبياء:١٠٧) إنما بعثت رحمة مهدأة ، واحملنى فى سيرى إليك على سبيله الواضحة السالك لا يزيغ عنها إلا هالك ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾(يوسف:١٠٨) إلى حضرتك القدسية التى إليها ينتهى سير الواصلين، وعندها تقف مطايا السالكين، ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾(النجم:٤٢) حملاً محفوفاً بنصرتك الربانية حتى أنجو من غوائل الطريق، وفضلات الهوى، وأستمسك بعدة ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾(البقرة:١٩٧) وأقذف بى على جيش الباطل فأدمغه بصولة الحق، وأدحضه بقوة الصدق، ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ (محمد:٢١) ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾(آل عمران:١٢٦) وزج بى فى بحار الأحدية الذاتية المحيطة بجميع هياكل الحقائق والمعانى المنزهة عن الكثرة، والقلة والكلية والجزئية والتباعد والتدانى ﴿ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾(فصلت:٥٤)، وانشلنى من أوحال التوحيد، والمواقعة فى ظلمات الشبع والترديد، إلى فضاء تنزيه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(الشورى:١١) سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة الشهودية مع القيام بأداء حقوق العبودية، ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾(النساء:٧٨) ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾(النساء:٧٩) حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها، تحققاً وتعلقاً، بإتحاف عناية فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها. واجعل الحجاب الأعظم من حيث الإفاضة والتلقين حياة روحى، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ (الشورى:٥٢) ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾(النمل:٦) وروحه من حيث التوصيل والتمكين، سر حقيقتى حتى أتذوق سر ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(البقرة:٣٠) وحقيقته من حيث الهداية واليقين، جامع الظاهرة والباطنة فى جميع أطوارها الجلية والخفية لأتحقق بالوراثة النبوية، والخلافة المحمدية ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى

صراط مستقيم ﴾(الشورى: ٥٢) صراط الله، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(السجدة: ٢٤) بتحقيق الحق الأول في اليقين الأول بإشارة كنت أول الناس خلقاً، وآخرهم بعثاً، وجعلني فاتحاً وخاتماً مع بشارة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾(آل عمران: ٨١) يا أول ليس لأوليته ابتداء، يا أخر تقدس عن لحوق الفناء، يا ظاهر لا يلحق خفاء، يا باطن تردى برداء العظمة والكبرياء، اسمع ندائي مع ظهور فقري إليك والتجائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا واجعلني صادق القول وفيا، وارزقني قلباً تقيا من الشرك نقيا، لا جافيا ولا شقيا، وانصرني بك لك نصراً مؤزرا، ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾(آل عمران: ١٦٠) وأيدني بك لك تأييداً مظفراً، حتى أكون في جماعة ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾(المجادلة: ٢٢) واجمع بيني وبينك بقطع العلائق النفسانية، ومنع القواطع الشهوانية؛ حتى أشرف بخطاب ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾(الفجر: ٢٧-٢٨) وحل بيني وبين غيرك، حتى لا أشهد في الكون إلا اثر إحسانك وبرك ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾(النحل: ٥٣) الله . الله . الله . الله واحد أحد . الله وتر صمد، الله لم يكن له كفواً أحد . الله قوة قادر. الله عزيز قاهر. الله عليم غافر. ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ وأوجب عليك البيان ﴿ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾(القصص: ٨٥) يوم تحق لك السيادة على جميع العباد . ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾(الإسراء: ٧٩) ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾(الكهف: ١٠) واغفر لنا مغفرة عامة تجلوا عن القلب كل صدا . ورقنا في معارج مدارج ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(الأحزاب: ٥٦) اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين . وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين . وشفيع المذنبين . اللهم اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا محمد رسول الخير، وإمام الهدى، ونبى التوبة، وعين الرحمة، اللهم أجعل أفضل صلواتك وأزكاها وأجل تسليماتك وأنماها على من أرسلته رحمة عامة، وبعثته نعمة مهداة: سيدنا محمد الذى شرحت صدره ورفعت ذكره، وقرنت اسمه باسمك، وجعلت طاعته من طاعتك، وخلعت عليه من وصفك ونعتك . اللهم ارزقنا تمام محبته واتباع سنته، والتأدب بأدب شريعته، والتمسك بأذيال آله وعترته، واحشرنا في زمرته، واجعلنا في الرعيل الأول من أهل شفاعته . اللهم أنّا نتوسل به إليك، ونستشفع به لديك، أن تقبل أعمالنا، وأن تحسن أحوالنا، وتنير بالمعارف قلوبنا، وتفرج

من كدورات الأخيار كروبنا ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(الممتحنة: ٤) ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(الأعراف: ٢٣) ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(البقرة: ٢٠١) ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(آل عمران: ١٩٣-١٩٤) ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(آل عمران: ٢٦-٢٧) ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(آل عمران: ١٨) شهدنا بذلك، وأقررنا به، فاكتب اللهم شهادتنا عندك، وأعظم جزاءنا عليها، وأكرم نزلنا بها، واجعلها حجتنا لديك يوم لقائك، ونجنا بها من سوء عذابك ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(التحريم: ٨) ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(البقرة: ٢٥٥) ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾(الحشر: ٢٢) ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(الحشر: ٢٣) ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(الحشر: ٢٤) ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾(الإخلاص: ١-٤) (ثلاث مرات) ثم المعوذتين، ثم ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ * ﴾(الفاتحة: ١-٧)

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله رسالة المعارف الذوقيه فى الوظيفة الصديقية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا نسب الإمام أبى عبد الله محمد بن الصديق الغمارى ﷺ

نظمه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ / إبراهيم ابن عبد الباعث بن أحمد بن غنيم، شيخ الطريقة الشاذلية بالإسكندرية ، حفظه الله ونفعنا به :

لك الحمد يا من قد تفضلت منة	علينا بمن عرفونا طريقتنا
ونسألك اللهم إتحاف أحمدٍ	نبى الورى خير الصلاة تحننا
وخير سلام شامل الصحابة	وآل وأتباع ومن وجد وأعتنى
وبعد فإنا نستحى قرع بابكم	لكثرة أوزار جنتها أكفّنا
لذاك أتينا بالكرام ليشفعوا	لنا عندكم كيما تحقق سؤلنا
فنسألك اللهم فيضا بسيدى	محمدْ أبى عبد الإله إمامنا
ووالده الصديق من حج واعتمرْ	كوالده أحمدْ شهاب لديننا
أى ابن محمدْ ذى المعالى ابن قاسم	أتى من محمدْ كأسم جد له الثنا
ووالده المفضال عبد لمؤمن	كذاك أبوه ذا محمد قطبنا
ومعقبة نعنى به عبد مؤمن	شهير أبى قبرين وابن علينا
أى ابن الحسنْ حقا ونجل محمدٍ	أبوه بعبد الله سمى تيمنا
ونعنى به أبناً لأحمد ذى العلا	وذاك ابن عبد الله طوبى له الهنا
ووالده عيسى هو ابن سعيدهم	وذا نجل مسعود أى ابن فُضَيْلنا
وذا ابن على واسم والده عمرْ	من العربى قد جاء بالحق معلنا
أى ابن لعلاّل[1] بن موسى بن أحمد	وذا ابن لداود بن قطب زماننا
ونعنى به أدريس نجلا لفاتح	لمغرب ادريس المرجى لخطبنا
وهذا ابن عبد الله والوالد الحسنْ	وقد شهروه بالمثنى ابن فخرنا

---

(١) هو على ، باللهجة المغربية

أى الحسن المفضال نجل علينا — أى ابن أبى طالبْ وذى العلم بيننا
إلهى بهم هبنا اتباع طريقهم — وحبالهم كيما نفوز بأسرنا

وهذه سلسلة الطريقة الصديقية من نظم الأستاذ المشار إليه ، أسبغ الله نعمه عليه:

إلهى بفخر الأنبياء محمد — كذاك على ابن عم نبينا
وبالحسن المفضال ذلك نجله — بابن لعبد الله جابر كسرنا
كذاك بالغزوانى أعنى سعيدهم — بفتح السعود افتح علينا تحننا
كذا سيدى سعد وأيضاً سعيدهم — بأهل الكنى منهم فحقق رجاءنا
وهم جابر فتح السعود سعيدهم — لبعضهم باسم النبى لهم كنى
كذا بأبى القاسمْ وذاك أحمد — ويعرف بالمروانى فلترو قلبنا
كذا بأبى اسحاق ذا البصيرى فاهدنا — كذلك بالقزوينى زيْن لديننا
وأيضاً بشمس الدين ذا الترخى سيدى — محمد تاج الدين نصراً لديننا
ونور بنور الدين قلبى ونجنا — إلهى بفخر لدين مما يعوقنا
كذا بتُقىّ الدين أعنى فُقَيْرهم — إلهى بالتصغير صغر نفوسنا
وبالمدنى الزيات شهرة أسمه — عبيد لرحمن أنلنا مرادنا
بعبد السلام القطب ذى المجد والعلا — أى ابن مشيش حين حقا من الخنا
وبالشاذلى أعنى الإمام أبا الحسنْ — كذا بأبى العباس ذا المرسى فاهدنا
وبابن عطا الله من قولَه حكَمْ — بها سرت الركبان فى سائر الدنا[1]
كذا الباخلى داود ثم محمد — ببحر الصفا سمى وزاد تيقنا
وبابن وفا أعنى عليا له العلى — أبو زكريا القادرى عين فخرنا
وبالحضرمى أعنى ابن عقبة احمدا — وأحمد زرُّوق إليه انتسابنا
كذا بأبى إسحاق أفْخام من شُهرْ — بإبراهيم الزرهونى ثبت يقيننا

(١) أى : الدنيا

كذا بعلى الدوّار وهو أبو الحسنْ ... بعابد رحمن بمجذوب أعلنا
ونرجوك بالفاسىّ يوسف منحةً ... وعابد رحمن كذا الفاس عُنونا
كذا بمحمدْ ذاك فتحا الذى سما ... أى ابن لعبد الله معن له كنى
بقاسم الخصاصى أيضاً وأحمدا ... وذاك ابن عبد الله يا رب دلنا
وبالعربى ذى السر أيضاً وبالجمل ... علىّ علا قدراً وهام ود ندنا
وبالعربى الدرقاوى والحا أحمد ... أى ابن لعبد المؤمن اشرح صدورنا
وذاك غُمارى نسبةً ومحمد ... هو ابن لأيوب فيسر عسيرنا
كذاك بالبنّانى عبد لواحد ... محمد إبراهيم ذا الفاسى ذو السنا
وبالسيد الصديق ذاك محمد ... إمام الهدى والعلم نجل نبينا
أقام طريق الدين والفضل والتقى ... وشيد صْرح الحق بالحق معلنا
كذا بابنه بحر المكارم والندى ... أبى الفيض شيخ للطريق بغربنا
إمام جرى فى كل علم مبرّزا ... وأحيا به المولى دوارس ديننا
كذاك عبد الله حافظ سنةٍ ... لقد ساد حقاً بالطريق له الهنا
وحدث أهل العصر من فيض علمه ... وأوسعهم خيراً فجازاه ربنا
إلهى به ثم الذين ذكرتهم ... إلى المصطفى هبنا دواما رشادنا
ونحمدك اللهم حيث أعنتنا ... على نظم سادات بهم نبلغ المنى
وصل وسلم سيدى كل لمحة ... على المصطفى والآل والصحب فخرنا

تم بحمد الله كتاب

افضل ما قول فى مناقب أفضل رسول

ورسالة المعارف الذوقية فى الطريقة الصديقية

وقصيدة نسب المؤلف

إشراف

محمد بن على بن يوسف

الفهـــــرس

الناشـــر

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ ش الصنادقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩
١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠
ص . ب ٩٤٦ العتبة ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية